الإسلام دين السلام

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

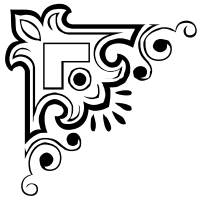

نِعْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ

فَالرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ لِلْعِبَادِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا، وَحَاجَتُهُمْ إِلَىٰ الرِّسَالَةِ فَوْقَ حَاجَتِهِمْ إِلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ.

وَالرِّسَالَةُ رُوحُ الْعَالَمِ وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ؛ فَأَيُّ صَلَاحٍ لِلْعَالَمِ إِذَا عَدِمَ الرُّوحَ وَالْحَيَاةَ وَالنُّورَ؟!!

وَالدُّنْيَا مُظْلِمَةٌ إِلَّا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ فِي الدَّارَيْنِ إِلَّا عَلَىٰ أَيْدِي الرُّسُلِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ عَلَىٰ التَّفْصِيلِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِمْ.

لَقَدْ سَمَّىٰ اللهُ رِسَالَتَهُ رُوحًا، وَالرُّوحُ إِذَا عُدِمَتْ فُقِدَتِ الْحَيَاةُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورىٰ:٥٢].(*).

«إِنَّ اللهَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ وَاتَّبَعَهُمْ بِالسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٣٠٦: الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ أَفْضَلُ الْبَشَرِ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢١ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٤٢هـ| ٣-٢-٢٠٢١م.

وَالْأُخْرَوِيَّةِ، وَمُنْذِرِينَ مَنْ عَصَىٰ اللهَ وَخَالَفَهُمْ بِشَقَاوَةِ الدَّارَيْنِ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ فَيَقُولُوا: مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ؛ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ.

فَلَمْ يَبْقَ لِلْخَلْقِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ لِإِرْسَالِهِ الرُّسُلَ تَتْرَىٰ، يُبَيِّنُونَ لَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ، وَمَرَاضِيَ رَبِّهِمْ وَمَسَاخِطَهُ، وَطُرُقَ الْجَنَّةِ وَطُرُقَ النَّارِ، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

وَهَذَا مِنْ كَمَالِ عِزَّتِهِ -تَعَالَىٰ- وَحِكْمَتِهِ؛ أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ، وَذَلِكَ -أَيْضًا- مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ؛ حَيْثُ كَانَ النَّاسُ مُضْطَرِّينَ إِلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ أَعْظَمَ ضَرُورَةٍ تُقَدَّرُ، فَأَزَالَ هَذَا الِاضْطِرَارَ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ، وَنَسْأَلُهُ كَمَا ابْتَدَأَ عَلَيْنَا نِعْمَتَهُ بِإِرْسَالِهِمْ أَنْ يُتِمَّهَا بِالتَّوْفِيقِ لِسُلُوكِ طَرِيقِهِمْ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ»(١).

قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء:١٦٥].

«﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أَيْ: يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَاتَّبَعَ رِضْوَانَهُ بِالْخَيْرَاتِ، وَيُنْذِرُونَ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ بِالْعِقَابِ وَالْعَذَابِ، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ أَيْ: إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- أَنْزَلَ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٢٣٤).

كُتُبَهُ وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ بِالْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ، وَبَيَّنَ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِمَّا يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ؛ لِئَلَّا يَبْقَىٰ لِمُعْتَذِرٍ عُذْرٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه:١٣٤]، وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [القصص:٤٧].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**».

وَفِي لَفْظٍ: «**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ**»(١)(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام:٤٨-٤٩].

«يَذْكُرُ -تَعَالَىٰ- زُبْدَةَ مَا أَرْسَلَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ؛ أَنَّهُ الْبِشَارَةُ وَالنِّذَارَةُ، وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِبَيَانِ الْمُبَشِّرِ وَالْمُبَشَّرِ بِهِ، وَالْأَعْمَالِ الَّتِي إِذَا عَمِلَهَا الْعَبْدُ حَصَلَتْ لَهُ الْبِشَارَةُ، وَالْمُنْذِرِ وَالْمُنْذَرِ بِهِ، وَالْأَعْمَالِ الَّتِي مَنْ عَمِلَهَا حَقَّتْ عَلَيْهِ النِّذَارَةُ؛

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٦) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٢٢-٤٢٣).

وَلَكِنَّ النَّاسَ انْقَسَمُوا -بِحَسْبِ إِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِمْ وَعَدَمِهَا- إِلَىٰ قِسْمَيْنِ: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ أَيْ: آمَنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَصْلَحَ إِيمَانَهُ وَأَعْمَالَهُ وَنِيَّتَهُ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ»[1].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٢٨٥).

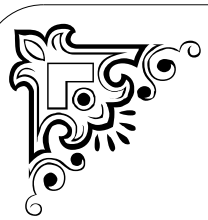
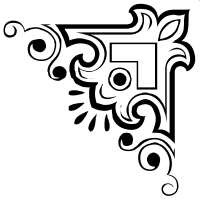

الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ أَفْضَلُ الْبَشَرِ

مِنَ الْمُتَقَرِّرِ الْمَعْلُومِ: ضَرُورَةُ فَضْلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَىٰ سَائِرِ الْبَشَرِ؛ وَلِهَذَا اصْطَفَاهُمُ اللهُ لِرِسَالَتِهِ وَتَبْلِيغِ وَحْيِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

قَالَ الطَّبَرِيُّ(١): «الْمَعْنَىٰ: فَأَنَا أَعْلَمُ بِمَوَاضِعِ رِسَالَاتِي، وَمَنْ هُوَ لَهَا أَهْلٌ، فَلَيْسَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ أَنْ تَتَخَيَّرُوا ذَلِكَ عَلَيَّ أَنْتُمْ؛ لِأَنَّ تَخَيُّرَ الرَّسُولِ إِلَىٰ الْمُرْسِلِ دُونَ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ إِذَا أَرْسَلَ رِسَالَةً بِمَوْضِعِ رِسَالَاتِهِ». (*).

لَقَدْ خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ وَفَاضَلَ بَيْنَهُمْ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، وَقَدِ اخْتَارَ مِنْ أَرْضِهِ مَكَّةَ، فَجَعَلَهَا مَقَرَّ بَيْتِهِ الْعَتِيقِ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَجَعَلَ أَفْئِدَةَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِ، وَأَوْجَبَ عَلَىٰ النَّاسِ الْحَجَّ إِلَيْهِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَحَرَّمَ صَيْدَهُ وَقَطْعَ شَجَرِهِ، وَجَعَلَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِيهِ مُضَاعَفَةً، وَجَعَلَ إِرَادَةَ الظُّلْمِ فِيهِ مُسْتَحِقَّةً لِلْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج:٢٥].

---

(١) «تفسير الطبري» (٩/ ٥٣٩-٥٤٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٣١٥: الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ أَفْضَلُ الْبَشَرِ)، الْخَمِيسُ ٢٢ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٤٢هـ| ٤-٢-٢٠٢١م.

وَاخْتَارَ مِنَ الشُّهُورِ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَمِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَمِنَ الْأَيَّامِ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَمِنْ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَفَاضَلَ اللهُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ، فَاخْتَارَ مِنْهُمُ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ رِسَالَتَهُ إِلَىٰ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَاصْطَفَىٰ اللهُ مِنْ بَنِي آدَمَ الْأَنْبِيَاءَ، فَالْأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ الْبَشَرِ، وَأَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ الرُّسُلُ، وَ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج:٧٥].

وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ تَفْضِيلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ تَفْضِيلِهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦﴾ [الأنعام:٨٣- ٨٦].

وَقَدْ أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّهُ: «**مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة»: (١/ رقم١٣٥و٥٠٨و٦٦٢)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (٢/ رقم١٢٢٤)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٣/ ٣٢٥)، وفي «فضائل الخلفاء»: (رقم٩)، والسياق له، والخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب الحديث»: (رقم٨١)، وفي «الجامع لأخلاق الراوي»: (٢/ رقم١٦٩١)، وغيرهم، من طرق: عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ - وهو عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جُرَيْجٍ-، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ =

وَيُؤْخَذُ مِنَ الْحَدِيثِ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ، وَأَنَّ أَفْضَلَ رَجُلٍ بَعْدَهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه.

وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ**»(١).

وَقَدْ رَتَّبَ اللهُ عِبَادَهُ السُّعَدَاءَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَ مَرَاتِبَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء:٦٩].

فَأَوَّلُ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ وَأَعْلَاهَا: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصِّدِّيقُونَ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، وَقَدْ يَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّ لِلْمُصَادَفَةِ هَاهُنَا مَحلَّةً، وَأَنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

=

قَالَ: رَآنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَمْشِي أَمَامَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: «أَتَمْشِي أَمَامَ أَبِي بَكْرٍ، مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ أَحَدٍ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ».

والحديث في بعض طرق إسناده حسن صحيح.

(١) أخرجه الترمذي: أبواب المناقب: باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، (٣٦٦٥ و٣٦٦٦)، وابن ماجه: المقدمة: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، (٩٥)، من حديث: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ، يَا عَلِيُّ لَا تُخْبِرْهُمَا**».

قال الترمذي: «وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ عَنْ عَلِيٍّ مِنْ غَيْرِ هَذَا الوَجْهِ. وَفِي البَابِ عَنْ أَنَسٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ»، قلت: ورواه أيضا ابن ماجه من حديث: أبي جحيفة رضي الله عنه بمثله، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»: (٢/ رقم٨٢٤).

مَنْ أَصَابَتْهُ النُّبُوَّةُ وَهُوَ لَا يَسْتَحِقُّهَا، وَمَعَاذَ اللهِ! وَلَكِنَّ اللهَ الْعَلِيمَ الْحَكِيمَ الْخَبِيرَ نَظَرَ فِي مَعَادِنِ الْعِبَادِ وَقُلُوبِهِمْ، وَاخْتَارَ مِنْهُمْ وَاصْطَفَىٰ الْأَفْضَلَ الْأَكْمَلَ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام:١٢٤].

إِنَّ حِكْمَةَ اللهِ وَعِلْمَهُ قَاضِيَانِ بِأَلَّا تُمْنَحَ النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ إِلَّا لِلْمُسْتَعِدِّ لَهَا وَالْقَادِرِ عَلَىٰ حَمْلِهَا، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ فِي سِيرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ رَأَيْتَهُمْ أَبَرَّ النَّاسِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهُمْ عِلْمًا، وَأَحْضَرَهُمْ بَدِيهَةً، وَأَشَدَّهُمْ تَحَمُّلًا، وَأَرَقَّهُمْ طِبَاعًا، فَلَا عَجَبَ أَنْ يَخْتَارَهُمُ اللهُ لِيَكُونُوا أُمَنَاءَ وَحْيِهِ، وَالْعَامِلِينَ عَلَىٰ إِقَامَةِ دِينِهِ، فَهُمُ الْقِمَمُ السَّامِقَةُ الَّتِي تَعْجِزُ النُّفُوسُ عَنْ أَنْ تَبْلُغَ مَدَاهَا.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٥١٣: الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ أَفْضَلُ الْبَشَرِ)، الِاثْنَيْنِ ١٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤٢هـ| ٢٢-٢-٢٠٢١م.

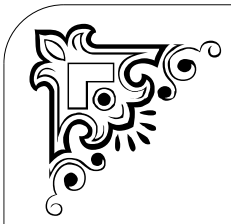

وَظِيفَةُ الرُّسُلِ وَغَايَتُهُ إِرْسَالِهِمْ

لَقَدْ بَعَثَ اللهُ جَلَّوَعَلَا **الرُّسُلَ لِغَايَةٍ عَظِيمَةٍ وَحِكْمَةٍ جَلِيلَةٍ، وَجَعَلَ لَهُمْ وَظَائِفَ، وَمِنْ تِلْكَ الْوَظَائِفِ مَا يَلِي:**

*** أَنَّ اللهَ جَعَلَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ؛ لِتَعْرِيفِهِمْ بِهِ -سُبْحَانَهُ-، وَلِتَعْرِيفِهِمْ مَا يَنْفَعُهُمْ، وَمَا يَضُرُّهُمْ**، وَهَذِهِ الْوَظِيفَةُ تَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ وَالتَّوْحِيدَ وَالْقَدَرَ، وَذِكْرَ أَيَّامِ اللهِ فِي أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ، وَهِيَ الْقِصَصُ الَّتِي قَصَّهَا عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَالْأَمْثَالُ الَّتِي ضَرَبَهَا لَهُمْ(١).

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ: «إِذْ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ تُبْنَىٰ مَطَالِبُ الرِّسَالَةِ كُلِّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ آخِرِهَا»(٢).

*** مِنْ وَظَائِفِ الرُّسُلِ تَعْرِيفُ الْعِبَادِ الطَّرِيقَ الْمُوصِلَ إِلَىٰ اللهِ بِذِكْرِ شَرِيعَتِهِ -سُبْحَانَهُ-**، وَهَذِهِ الْوَظِيفَةُ تَتَضَمَّنُ تَفْصِيلَ الشَّرَائِعِ، وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَالْإِبَاحَةَ، وَبَيَانَ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَمَا يَكْرَهُهُ.

---

(١) «**لوامع الأنوار**»: (٢/ ٦٤).

(٢) «**شرح الطحاوية**»: (١/ ٦).

* **وَمِنْ وَظَائِفِهِمْ: تَعْرِيفُ الْعِبَادِ بِحَالِهِمْ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَىٰ اللهِ،** وَهَذِهِ الْوَظِيفَةُ تَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «وعَلَىٰ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ مَدَارُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالسَّعَادَةُ وَالْفَلَاحُ مَوْقُوفَةٌ عَلَيْهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهَا إِلَّا مِنْ جِهَةِ الرُّسُلِ؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ لَا يَهْتَدِي إِلَىٰ تَفَاصِيلِهَا وَمَعْرِفَةِ حَقَائِقِهَا، وَإِنْ كَانَ قَدْ يُدْرِكُ وَجْهَ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةِ، كَالْمَرِيضِ الَّذِي يُدْرِكُ وَجْهَ الْحَاجَةِ إِلَىٰ الطِّبِّ وَمَنْ يُدَاوِيهِ، وَلَا يَهْتَدِي إِلَىٰ تَفَاصِيلِ الْمَرَضِ، وَتَنْزِيلِ الدَّوَاءِ عَلَيْهِ، وَحَاجَةُ الْعَبْدِ إِلَىٰ الرِّسَالَةِ أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِنْ حَاجَةِ الْمَرِيضِ إِلَىٰ الطِّبِّ؛ فَإِنَّ آخِرَ مَا يُقَدَّرُ بِعَدَمِ الطَّبِيبِ مَوْتُ الْأَبْدَانِ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَحْصُلْ لِلْعَبْدِ نُورُ الرِّسَالَةِ وَحَيَاتُهَا مَاتَ قَلْبُهُ مَوْتًا لَا تُرْجَىٰ الْحَيَاةُ مَعَهُ أَبَدًا، أَوْ شَقِيَ شَقَاوَةً لَا سَعَادَةَ مَعَهَا أَبَدًا»(١).

هَذِهِ الْأُصُولُ الْعَامَّةُ فِي بَيَانِ الْغَايَةِ وَالْوَظَائِفِ الَّتِي أُرْسِلَ بِهَا الرُّسُلُ، وَمِمَّا يَدْخُلُ فِي تِلْكَ الْأُصُولِ أَنَّ اللهَ بَعَثَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ لِمَنْ أَطَاعَهُمْ بِالْجِنَانِ، مُنْذِرِينَ لِمَنْ خَالَفَهُمْ بِالْعَذَابِ وَالْوَبَالِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [يونس:٧٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام:٤٨].

---

(١) «**مجموع الفتاوىٰ**»: (١٩/ ٩٦ - ٩٧)، و«**لوامع الأنوار**»: (٢/ ٦٤ - ٦٥).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف:٩].

كَذَلِكَ بَعَثَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِقَطْعِ الْعُذْرِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء:١٦٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة:١٠٩].

فَبَعَثَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُرْسَلِينَ لِقَطْعِ الْأَعْذَارِ وَإِقَامَةِ الْحُجَجِ؛ وَلِئَلَّا يَهْلِكَ بَعْدُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا هَالِكٌ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» (مُحَاضَرَة: ١١: بَاب: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ عليهم السلام)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٧هـ| ٣١-٨-٢٠١٦م.

عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ

الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ بَشَرٌ مَخْلُوقُونَ يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ، وَتَلْحَقُهُمْ خَصَائِصُ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْمَرَضِ وَالنَّوْمِ، وَالْمَوْتِ، وَالْحَاجَةِ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ فِي أَعْلَىٰ مَقَامَاتِهَا، وَفِي سِيَاقِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ فِي نُوحٍ عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء:٣].

وَقَالَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١].

وَقَالَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص:٤٥-٤٧].

وَقَالَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف:٥٩].

وَالرِّسَالَةُ اصْطِفَاءٌ مِنَ اللهِ لَا تَأْتِي بِالِاكْتِسَابِ وَالْمُجَاهَدَةِ، وَالرُّسُلُ خَيْرُ الْبَشَرِ، وَصَفْوَتُهُمْ وَخُلَاصَتُهُمْ، وَقَدِ اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ

مَعْصُومُونَ فِي تَحَمُّلِ الرِّسَالَةِ، وَفِيمَا يُبَلِّغُونَ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا، فَلَا يُنْقِصُونَ شَيْئًا مِمَّا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَنْسَوْنَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ قَدْ نُسِخَ.

وَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنْ يُقْرِئَهُ، فَلَا يَنْسَىٰ شَيْئًا مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْهِ إِلَّا شَيْئًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُنْسِيَهُ إِيَّاهُ، قَالَ ﷻ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلىٰ:٦-٧].

وَالرُّسُلُ كَذَلِكَ مَعْصُومُونَ فِي التَّبْلِيغِ، فَلَا يَكْتُمُونَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْكِتْمَانَ خِيَانَةٌ، وَالرُّسُلُ يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ فِي حَقِّهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦﴾ [الحاقة:٤٤-٤٦].

أَمَّا الْأَعْرَاضُ الْجِبِلِّيَّةُ الْبَشَرِيَّةُ فَلَا تُنَافِي الْعِصْمَةَ؛ فَإِبْرَاهِيمُ عليه السلام أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً عِنْدَمَا رَأَىٰ أَيْدِيَ ضَيْفِهِ لَا تَمْتَدُّ إِلَىٰ الطَّعَامِ الَّذِي قَدَّمَهُ لَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ، وَمُوسَىٰ عليه السلام غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ، وَأَلْقَىٰ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًىٰ عِنْدَمَا عَادَ إِلَىٰ قَوْمِهِ بَعْدَ أَنْ تَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ فَوَجَدَهُمْ يَعْبُدُونَ الْعِجْلَ.

وَمِنْ ذَلِكَ: نِسْيَانُ الرَّسُولِ ﷺ فِي غَيْرِ الْبَلَاغِ، وَفِي غَيْرِ أُمُورِ التَّشْرِيعِ، كَمَا فِي حَدِيثِ ذِي الْيَدَيْنِ عِنْدَمَا سَهَا ﷺ فِي الصَّلَاةِ؛ بَلْ قَدْ صَرَّحَ ﷺ بِطُرُوءِ النِّسْيَانِ عَلَيْهِ كَعَادَةِ الْبَشَرِ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَىٰ كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(*).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٣٣١: حَقِيقَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ،

إِنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا أَرْسَلَ رُسُلَهُ يُبَلِّغُونَ النَّاسَ شَرْعَهُ وَوَحْيَهُ، فَلَا مَعْرِفَةَ لِلنَّاسِ بِشَرْعِ اللهِ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الرُّسُلِ، فَلَوْ لَمْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ فِيمَا يُبَلِّغُونَهُ عَنِ اللهِ -تَعَالَىٰ- لَمَا عُرِفَ شَرْعُ اللهِ، وَلَمَا اسْتَقَامَ لِلدِّينِ أَمْرُهُ، وَقَدْ حَكَىٰ الْأَئِمَّةُ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ عِصْمَةِ الرُّسُلِ فِي التَّبْلِيغِ.

مَعْنَىٰ الْعِصْمَةِ: حِفْظُ اللهِ لِعَبْدِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِيمَا يَسُوؤُهُ.

وَالْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ مَعْصُومُونَ مِنْ كُلِّ مَا يَقْدَحُ فِي نُبُوَّتِهِمْ؛ مِنَ الْكَذِبِ، وَالْخِيَانَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَعْصُومُونَ -أَيْضًا- مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْكَبَائِرِ بِالْإِجْمَاعِ.

وَمِمَّا يَشْهَدُ لِعِصْمَتِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:١-٦].

فَهَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ جَاءَتْ بِنَفْيِ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْأَصْنَامِ وَالشِّرْكِ بِاللهِ فِي الْمَاضِي وَالْحَالِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.

وَلَا يُشْكِلُ عَلَىٰ عِصْمَتِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام:٨٨].

=

وَعِصْمَتُهُمْ، وَمَا يَتَضَمَّنُهُ الْإِيمَانُ بِهِمْ)، الْأَحَدُ ٢٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٤٢هـ| ٧-٢-٢٠٢١م.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥].

لَا يُشْكِلُ عَلَىٰ عِصْمَتِهِمْ عليهم السلام مِنَ الشِّرْكِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ؛ فَهَاتَانِ الْآيَتَانِ فِي بَيَانِ أَنَّ الشِّرْكَ لَوْ قُدِّرَ وُجُودُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ -مَعَ أَنَّ الشِّرْكَ مِنْهُمْ مُمْتَنِعٌ-؛ لَكَانَ ذَلِكَ مُسْتَلْزِمًا لِحُبُوطِ عَمَلِهِمْ، وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ لِبَيَانِ عِظَمِ الشِّرْكِ وَخُطُورَتِهِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٣١٨: عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ فِي التَّبْلِيغِ)، السَّبْتُ ٢٤ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٤٢هـ| ٦-٢-٢٠٢١م.

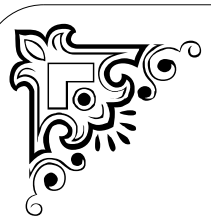
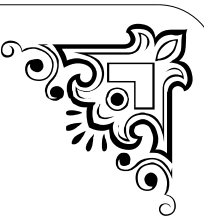

مِنْ خَصَائِصِ الرُّسُلِ عليهم السلام

الرُّسُلُ عليهم السلام مَيَّزَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِأُمُورٍ تَفَرَّدُوا بِهَا عَنْ سَائِرِ الْبَشَرِ، وَهِيَ:

* **الْوَحْيُ**، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

وَالْمُرَادُ بِالْوَحْيِ شَرْعًا: الْمُرَادُ بِالشَّرْعِ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «أَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَيْ لَا أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مَلَكٌ وَلَا غَيْرُ بَشَرٍ، بَلْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَيْ بَشَرٌ مِنْ جِنْسِ الْبَشَرِ، إِلَّا أَنَّ اللهَ فَضَّلَنِي وَخَصَّنِي بِمَا

---

(١) هُوَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ الْمُفَسِّرُ الْكَبِيرُ: مُحَمَّدُ الْأَمِينُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ الشِّنْقِيطِيُّ ثُمَّ الْمَكِّيُّ، صَاحِبُ «أَضْوَاءِ الْبَيَانِ» وُلِدَ بِشِنْقِيطَ مِنْ أَعْمَالِ مُورِيتَانْيَا عَامَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَأَلْفٍ، فَنَشَأَ فِي بَيْتِ أَخْوَالِهِ وَكَانَ بَيْتُ عِلْمٍ، حَتَّىٰ إِنَّهُ أَخَذَ الْأَدَبَ وَعُلُومَ اللُّغَةِ عَلَىٰ يَدِ زَوْجِ خَالِهِ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ ذُو سُرْعَةٍ فِي التَّحْصِيلِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَىٰ مَكَّةَ فَدَرَسَ وَدَرَّسَ فِيهَا، وَبِهَا تُوفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ ضُحَىٰ يَومِ الْخَمِيسِ سَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَأَلْفٍ.

انظر: «**المعجم الجامع في تراجم المعاصرين**»: (١/ ٢٨٠).

أَوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَشَرْعِهِ»(١).

* **فَخَصَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ بِخَصَائِصَ أُولَاهَا: التَّوْحِيدُ.**

* **وَمِنَ الْخَصَائِصِ -أَيْضًا-: الْعِصْمَةُ.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة:١٣٦-١٣٧].

فَأَوْجَبَ اللهُ جَلَّوَعَلَا الْإِيمَانَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ، فَلَوْ لَمْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ لَمَا أَوْجَبَ اللهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يُنَازِعْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِيمَا يُبَلِّغُونَهُ عَنِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «الْأَنْبِيَاءُ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ- مَعْصُومُونَ فِيمَا يُخْبِرُونَ بِهِ عَنِ اللهِ -سُبْحَانَهُ-، وَفِي تَبْلِيغِ رِسَالَاتِهِ بِاتِّفَاقِ الْأَمَّةِ»(٢).

* **وَمِنْ خَوَاصِّهِمْ: تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ.**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(٣).

---

(١) «**أضواء البيان**»: (٤/ ٢٥٢).

(٢) «**مجموع الفتاوىٰ**»: (١٠/ ٢٨٩).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ التَّهَجُّدِ: بَابُ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ...، (٣/ ٣٣، رقم ١١٤٧)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ: بَابُ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَعَدَدِ =

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، قَالَ: «جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوْحَىٰ إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟

فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ.

وَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَكُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ.

فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّىٰ جَاءُوا لَيْلَةً أُخْرَىٰ فِيمَا يَرَىٰ قَلْبُهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، يَقُولُ: **وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ يَكُونُونَ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُم، وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(١).

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: «الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيًا». ذَكَرَهُ فِي «الِاسْتِذْكَارِ».

وَقَالَ: «وَلِهَذَا وَاللهُ أَعْلَمُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رُؤْيَا الْأَنبياء وَحْيٌ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يُفَارِقُونَ سَائِرَ الْبَشَرِ فِي نَوْمِ الْقَلْبِ، وَيُسَاوُونَهُمْ فِي نَوْمِ الْعَيْنِ، وَلَوْ تَسَلَّطَ النَّوْمُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ كَمَا يَصْنَعُ بِغَيْرِهِمْ لَمْ تَكُنْ رُؤْيَاهُمْ إِلَّا كَرُؤْيَا مَنْ سِوَاهُمْ، وَقَدْ خَصَّهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ بِمَا شَاءَ أَنْ يَخُصَّهُمْ بِهِ»(٢).

=

رَكَعَاتِ النَّبِيِّ ﷺ...، (١/ ٥٠٩، رقم ٧٣٨).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ المَنَاقِبِ: بَابُ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، (٦/ ٥٧٩، رقم ٣٥٧٠)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ...، (١/ ١٤٥، رقم ١٦٢).

(٢) «**الِاسْتِذْكَارُ**»: (١/ ٧٥ و٢/ ١٠١).

*** وَمِنْ خَصَائِصِهِمْ -أَيْضًا-: أَنَّ النَّبِيَّ يُدْفَنُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ؛** فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ: «**مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ**»، ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ فَدَفَنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ ﷺ»(١).

فَهَذِهِ خَصِيصَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ؛ وَلِهَذَا فَالصَّحَابَةُ لَمْ يَكُونُوا يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ فِي الْبُيُوتِ، بَلْ كَانُوا يَدْفِنُونَهُمْ فِي الْبَقِيعِ، بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَدْفِنْ أَحَدًا فِي بَيْتِهِ، وَهَذَا فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الدَّفْنَ فِي الْبُيُوتِ لَا يَجُوزُ.

*** مِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ يُخَيَّرُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ الْمَرَضِ؛** فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(٢).

*** وَمِنْ خَصَائِصِهِمْ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَأْكُلُ أَجْسَادَهُمْ؛** فَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**».

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ الْجَنَائِزِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي دَفْنِ النَّبِيِّ ﷺ..، (٣/ ٣٢٩، رقم ١٠١٨).

والحديث صححه بشواهده الألباني في «**أحكام الجنائز**»: (ص ١٧٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ المَغَازِي: بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ..، (٨/ ١٣٦، رقم ٤٤٣٥) و (٨/ ٢٥٥، رقم ٤٥٨٦)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ: بَابٌ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (٤/ ١٨٩٣، رقم ٢٤٤٤).

قَالَ: فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ -قَالَ: يَقُولُونَ- بَلِيتَ؟».

قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ** ﷺ»(١).

فَهَذِهِ بَعْضُ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي اخْتُصُّوا بِهَا دُونَ سَائِرِ الْبَشَرِ.

وَأَمَّا خَصَائِصُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا:

*** فَهُوَ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَرْفَعُهُمْ مَكَانَةً عِنْدَ اللهِ،** وَاللهُ فَضَّلَ الرُّسُلَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، ﴿**تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ**﴾ [البقرة:٢٥٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ [الإسراء:٥٥].

جَعَلَ اللهُ أَفْضَلَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ، وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الصَّلَاةِ: بَابُ فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، (١/ ٢٧٥، رقم ١٠٤٧)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «**الْمُجْتَبَىٰ**»: كِتَابُ الْجُمُعَةِ: إِكْثَارُ الصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، (٣/ ٩١ - ٩٢، رقم ١٣٧٤)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ: بَابٌ فِي فَضْلِ الْجُمُعَةِ، (١/ ٣٤٥، رقم ١٠٨٥).
والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (١/ ٤٣٦، رقم ٦٩٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ: بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ...**﴾، (٦/ ٣٧١، رقم ٣٣٤٠)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، (١/ ١٨٤، رقم ١٩٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

قَالَ رَبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ(١): «لَا نُفَضِّلُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَحَدًا، وَلَا نُفَضِّلُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ أَحَدًا»(٢).

وَقَالَ الطَّحَاوِيُّ: «وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ»(٣).

وَقَالَ الْآجُرِّيُّ: «اعْلَمُوا -رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ- أَنَّ اللهَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- شَرَّفَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا بِأَعْلَىٰ الشَّرَفِ، وَنَعَتَهُ بِأَحْسَنِ النَّعْتِ، وَوَصَفَهُ بِأَجْمَلِ الصِّفَةِ، وَأَقَامَهُ فِي أَعْلَىٰ الرُّتَبِ»(٤).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ: «وَإِنَّمَا أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، لِأَنَّا لَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَعْلَمَ إِلَّا بِخَبَرِهِ؛ إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ يُخْبِرُنَا بِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ اللهِ -تَعَالَىٰ-، كَمَا أَخْبَرَنَا هُوَ بِفَضَائِلِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ»(٥).

---

(١) هُوَ أَحَدُ الأَعْلَامِ القُدْوَةُ الزَّاهِدُ العَابِدُ الإِمَامُ: الرَّبِيْعُ بنُ خُثَيْمِ بنِ عَائِذٍ أَبُو يَزِيْدَ الثَّوْرِيُّ الكُوْفِيُّ، أَدْرَكَ زَمَانَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَرْسَلَ عَنْهُ، قَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه: «يَا أَبَا يَزِيْدَ، لَوْ رَآكَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لأَحَبَّكَ، وَمَا رَأَيْتُكَ إِلَّا ذَكَرْتُ المُخْبِتِيْنَ»، وَكَانَ يُعَدُّ مِنْ عُقَلَاءِ الرِّجَالِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّيْنَ.

انظر: «**السير**»: (٤/ ٢٥٨، ترجمة ٩٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (٦/ ٣٢٦، رقم ٣١٧٩٧)، واللفظ له، والحارث ابن أبي أسامة كما في زوائد «**المسند**»: (٢/ ٨٧٣، رقم ٩٣٧)، وَمُسَدَّدُ بنُ مُسَرْهَدٍ كما في «**المطالب العالية**»: (١٦/ ٦٥٤، رقم ٣٨٥٤)، بإسناد صحيح.

(٣) «**العقيدة الطحاوية**» مع «**الشرح**»: (١/ ١٥٦ - ١٥٧).

(٤) «**الشريعة**»: (٣/ ١٣٨٦)

(٥) «**شرح الطحاوية**»: (١/ ١٦٣).

فَالنَّبِيُّ ﷺ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَرْفَعُهُمْ مَكَانَةً عِنْدَ اللهِ، وَقَدْ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

* **رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَامَّةٌ**، وَهَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ، وَلِرِسَالَتِهِ ﷺ عُمُومَانِ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِمَا تَخْصِيصٌ؛ عُمُومٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، فَتَعُمُّ كُلَّ أَحَدٍ، وَعُمُومٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ الثَّقَلَانِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، فَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ عَنْ رِسَالَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَقِّ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ، عَمَّا جَاءَ بِهِ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ [سبأ:٢٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «هَذَا خِطَابٌ لِلْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ وَالْعَرَبِيِّ وَالْعَجَمِيِّ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، أَيْ: جَمِيعَكُمْ، وَهَذَا مِنْ شَرَفِهِ وَعَظَمَتِهِ أَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَمَبْعُوثٌ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً»(١).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «وَمُحَمَّدٌ ﷺ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ الثَّقَلَيْنِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ»(٢).

وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَرِسَالَتُهُمْ خَاصَّةٌ لِأَقْوَامِهِمْ.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم»: (٣/ ٤٨٩).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ»: (١١/ ٣٠٣).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**»(١).

* **وَبَعْثَتُهُ ﷺ إِلَىٰ الْجِنِّ** -أَيْضًا-، كَمَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٢].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله: «فَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ بُعِثَ إِلَىٰ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ الْجِنِّ طَاعَتُهُ كَمَا يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسِ»(٢).

وَقَدْ خَصَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالشَّفَاعَةِ العُظْمَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء:٧٩]، قَالَ: «**الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ**»(٣).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ التَّيَمُّمِ: (١/ ٤٣٥ - ٤٣٦، رقم ٣٣٥)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ: (١/ ٣٧٠ - ٣٧١، رقم ٥٢١)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرٍ رضي الله عنه.

(٢) «**طريق الهجرتين**»: (ص ٤١٧).

(٣) أخرجه الطبري في «**جامع البيان**»: (١٥/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم فِي «**التَّفْسِيرِ**»: (٦/ ١٧٦٦)، وابن خزيمة في «**التوحيد**»: (٢/ ٧٢٦، رقم ٤٦٢)، والآجري في «**الشريعة**»: =

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «**الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

* **وَمِمَّا خَصَّ اللهُ بِهِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ: أَنَّ اللهَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَىٰ الرُّسُلِ جَمِيعًا أَنَّهُ إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ**، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران:٨١].

قَالَ السُّدِّيُّ(٢): «**لَمْ يَبْعَثِ اللهُ ﷻ نَبِيًّا قَطُّ مِنْ لَدُنْ نُوحٍ إِلَّا أَخَذَ مِيثَاقَهُ لَيُؤْمِنَنَّ بِمُحَمَّدٍ، وَلَيَنْصُرَنَّهُ إِنْ خَرَجَ وَهُوَ حَيٌّ، وَإِلَّا أَخَذَ عَلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَلَيَنصُرُنَّهُ إِنْ خَرَجَ وَهُمْ أَحْيَاءٌ**»(٣).

* **وَمِنْ خَصَائِصِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَحَلَّ لَهُ الْغَنَائِمَ، وَنَصَرَهُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجَعَلَ الْأَرْضَ لَهُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**؛ فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ**

=

(٤/ ١٦١٢، رقم ١١٠٠)، والطبراني في «**الكبير**»: (١٢/ ٦١ – ٦٢، رقم ١٢٤٧٤). والأثر صحيح بمجموع طرقه.

(١) أخرجه الطبري في «**جامع البيان**»: (١٥/ ١٤٤)، بإسناد صحيح.

(٢) هُوَ الإِمَامُ المُفَسِّرُ: إِسْمَاعِيْلُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ابْنِ أَبِي كَرِيْمَةَ، أَبُو مُحَمَّدٍ الحِجَازِيُّ ثُمَّ الكُوْفِيُّ الأَعْوَرُ السُّدِّيُّ، مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَةٍ.
انظر: «**السير**»: (٥/ ٢٦٤، ترجمة ١٢٤).

(٣) أخرجه الطبري في «**جامع البيان**»: (٣/ ٣٣٢)، وابن أبي حاتم فِي «**التَّفْسِيرِ**»: (٢/ ٦٩٤، رقم ٣٧٦١).

مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي؛ نُصِرتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيَّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ».
أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

وَقَالَ الْحَافِظُ: «وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَقْتَضِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْخَمْسِ الْمَذْكُورَاتِ لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ»(٢).

وَهَذَا ظَاهِرُ نَصِّ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَهَا نَصِيبٌ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي خُصَّ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ، لَقَدْ نَصَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالرُّعْبِ.. بِإِلْقَاءِ الرُّعْبِ فِي أَعْدَائِهِ إِذَا سَمِعُوا بِقَصْدِهِ إِيَّاهُمْ، كَمَا كَانَ الْيَهُودُ فِي خَيْبَرَ يَقُولُونَ لَمَّا عَلِمُوا بِقُدُومِ الْمَأْمُونِ ﷺ: «**مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، وَتَدَافَعُوا إِلَىٰ حُصُونِهِمْ فَأَغْلَقُوهَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ مِنْ صِغَارِهِمْ وَنِسَائِهِمْ تَرَكُوهُ**»(٣)، وَتَرَكُوا كَثِيرًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ خَارِجَ الْحُصُونِ، بِمَا أَلْقَىٰ اللهُ بِهِمْ مِنَ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ.

---

(١) تقدم تخريجه في الصحيحين.

(٢) «**فتح الباري**»: (١/ ٤٣٦).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الأَذَانِ: بَابُ مَا يُحْقَنُ بِالأَذَانِ مِنَ الدِّمَاءِ، (٢/ ٨٩ – ٩٠، رقم ٦١٠)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ النِّكَاحِ: بَابُ فَضِيلَةِ إِعْتَاقِهِ أَمَتَهُ، ثُمَّ يَتَزَوَّجُهَا، (٢/ ١٠٤٣ – ١٠٤٤، رقم ١٣٦٥)، من حديث: أَنَسٍ رضي الله عنه.

فَالْأُمَّةُ إِذَا سَارَتْ عَلَىٰ قَدَمَيْهِ، وَالْتَزَمَتْ سُنَّتَهُ وَهَدْيَهُ؛ نَصَرَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالرُّعْبِ، وَجَعَلَ لَهَا مِنْ هَذَا نَصِيبًا، وَهَابَتْهَا الْأُمَمُ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ الْهَيْبَةَ مِنْكُمْ مِنْ قُلُوبِ أَعْدَائِكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**».

قَالَ: «وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»(١).

وَقَوْلُهُ ﷺ: «**وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ الرَّهْبَةَ مِنْكُمْ مِنْ قُلُوبِ أَعْدَائِكُمْ**». دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ فِي غَيْرِ حَالَةِ الْغُثَائِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْأُمَّةُ يَجْعَلُ اللهُ الرَّهْبَةَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهَا، وَالْوَاقِعُ خَيْرُ شَاهِدٍ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْهَيْبَةَ وَالرَّهْبَةَ قَدِ نُزِعَتْ مِنْ قُلُوبِ أَعْدَاءِ الْأُمَّةِ، فَسَحَقُوهَا، يُرِيدُونَ مَحْقَهَا، وَاسْتَخَفُّوا بِهَا، وَأَخَذُوا بِأَزِمَّةِ قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنْ أَبْنَائِهَا، وَوَظَّفُوهُمْ لِحَرْبِهَا، وَلِلْحَمْلِ عَلَىٰ عَقِيدَتِهَا وَدِينِهَا، وَلِخِيَانَةِ أَبْنَائِهَا، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُطَوَّلُ بِهِ الْكَلَامُ لِأَنَّهُ وَاضِحٌ مَكْشُوفٌ، ولِأَنَّهُ ظَاهِرٌ مَعْرُوفٌ.

* **وَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَوَامِعَ الْكَلِمِ**؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فُضِّلْتُ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ، وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ**»(٢) ثُمَّ ذَكَرَهُنَّ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْمَلَاحِمِ: بَابٌ فِي تَدَاعِي الْأُمَمِ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، (٤/ ١١١، رقم ٤٢٩٧).

والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: (٢/ ٦٤٧، رقم ٩٥٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الجِهَادِ: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ...»، (٦/ ١٢٨، رقم ٢٩٧٧)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ: (١/ =

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ: «وَبَلَغَنِي أَنَّ جَوَامِعَ الْكَلِمِ أَنَّ اللهَ يَجْمَعُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ وَالْأَمْرَيْنِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ»(١).

وَكُلُّ نَاظِرٍ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُوتِيَ ذَوْقًا فِي هَذِهِ اللُّغَةِ الشَّرِيفَةِ أَوْ أُعْطِيَ طَرَفًا مِنَ الْإِلْمَامِ بِبَعْضِ أَسْرَارِهَا يَعْلَمُ طَبَقَةَ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ بِمِثْلِ كَلَامِهِ فَصَاحَةً وَبَلَاغَةً، وَهِدَايَةً وَنُورًا، فَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ علَىٰ مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ.

* **مِنْ خَصَائِصِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ: الْكَوْثَرُ**، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١].

قَالَ الْحَافِظُ: «فَالْمُخْتَصُّ بِنَبِيِّنَا ﷺ الْكَوْثَرُ الَّذِي يُصَبُّ مِنْ مَائِهِ فِي حَوْضِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ نَظِيرُهُ لِغَيْرِهِ، وَوَقَعَ الِامْتِنَانُ عَلَيْهِ بِهِ فِي السُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ - يَعْنِي سُورَةَ الْكَوْثَرِ -»(٢).

* **وَخَتَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ النُّبُوَّةَ**: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب:٤٠].

=

٣٧٨، رقم ٥٢٣).

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ معلقا مجزوما به فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ التَّعْبِيرِ: بَابُ الْمَفَاتِيحِ فِي الْيَدِ، (١٢/ ٤٠٠ - ٤٠١، رقم ٧٠١٣).

(٢) «**فتح الباري**»: (١١/ ٤٦٧).

فَهَذِهِ بَعْضُ خَصَائِصِهِ ﷺ وَقَدْ أُفْرِدَتْ خَصَائِصُهُ ﷺ بِمُصَنَّفَاتٍ عَظِيمَةٍ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ فَلْيَنْظُرْ فِيهَا، لِأَنَّنَا كُلَّمَا عَرَفْنَا نَبِيَّنَا ازْدَدْنَا لَهُ حُبًّا، وَإِذَا ازْدَدْنَا لَهُ حُبًّا، ازْدَدْنَا لَهُ اتِّبَاعًا: «إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ»(١).

وَآفَةُ النَّاسِ أَنَّهُمْ لَا يُقْبِلُون عَلَىٰ مَا يَنْفَعُهُمْ -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ-، وَإِنَّ مِمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ أَنْ يَعْرِفُوا صَاحِبَ الرِّسَالَةِ ﷺ.

وَتَأَمَّلْ مِنْ شَبَابِ الْأَمَةِ تَجِدْهُمْ يَعْرِفُونَ عَمَّنْ يُحِبُّونَهُمْ، بَلْ يَعْشَقُونَهُمْ، مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَلَا دِينٍ مُسْتَقِيمٍ، يَعْرِفُونَهُمْ مَعْرِفَةً دَقِيقَةً، وَيُفَتِّشُونَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ، وَيَسْمَعُونَ عَنْ فَضَائِحِهِمْ، وَعَمَّا يَقَعُونَ فِيهِ مِنَ الْفَوَاحِشِ، وَمُخَالَفَةِ الْمُرُوءَةِ وَالدِّيَانَةِ، فَيَغْفِرُونَ ذَلِكَ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَهُمْ.

وَيَرْسُمُونَ صُوَرَهُ عَلَىٰ مَلْبُوسَاتِهِمْ، وَيَجْعَلُونَ ذَلِكَ فِي مَخَادِعِهِمْ، وَبِإِزَاءِ أَعْيُنِهِمْ أَنَّىٰ تَوَجَّهُوا، وَلَا يَلُومُهُمْ أَحَدٌ عَلَىٰ إِظْهَارِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ لِأَمْثَالَ أُولَئِكَ الْمُسُوخِ الشَّائِهِينَ.

وَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِنَّ مَنِ اتَّبَعَهُ بِالْهَدْيِ الظَّاهِرِ لَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ، وَيُسْخَرُ بِهِ، وَيُتَهَكَّمُ بِحَالِهِ، مَعَ أَنَّكَ تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ فِي قَصَّاتِ شُعُورِهِمْ،

---

(١) عجز بيت من البحر الكامل للشاعر العباسي محمود بن حسن الوراق كما في «**ديوانه**»: (ص٢٢٧، الفقرة ١٨٠)، وتمامه:

(لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ)

وهو من أبيات ثلاث يقول في مطلعها:

(تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ).

وَفِي مَلْبُوسَاتِهِمْ يُقَلِّدُونَ أُولَئِكَ الْمُسُوخَ الشَّائِهِينَ، وَلَا يُنْكِرُ ذَلِكَ أَحَدٌ، وَإِنَّمَا يَتَسَامَحُونَ مَعَهُمْ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَىٰ مُخَالَفَاتِهِمْ، وَهَذَا عَكْسٌ لِلْأَمْرِ، وَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!

الرُّسُلُ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَقَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ، كُلُّهُمْ بُعِثُوا بِدِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [فصلت:١٤].

أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ كَمَا قَالَ قَتَادَةُ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ يُقْبَلُ مِنْهُمْ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَالطَّبَرِيُّ أَظُنُّهُ أَنَا قَالَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ عَمَلٌ حَتَّىٰ يَقُولُوهُ، وَيُقِرُّوا بِهِ.

وَالشَّرَائِعُ مُخْتَلِفَةٌ؛ فِي التَّوْرَاةِ الشَّرِيعَةِ، وَفِي الْإِنْجِيلِ الشَّرِيعَةِ، وَفِي الْقُرْآنِ الشَّرِيعَةُ حَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي الْإِخْلَاصِ للهِ، وَالتَّوْحِيدِ لَهُ.

فَدِينُ الرُّسُلِ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» (مُحَاضَرَة: ١١: بَاب: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ عليهم السلام)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٧هـ| ٣١-٨-٢٠١٦م.

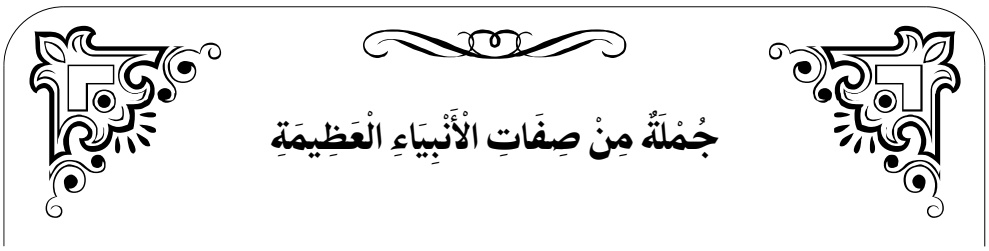

جُمْلَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الْعَظِيمَةِ

«إِنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا يَخْتَارُ وَيَجْتَبِي مِنَ النَّاسِ رُسُلًا يَكُونُونَ أَزْكَىٰ النَّاسِ، وَأَجْمَعَهُمْ لِصِفَاتِ الْمَجْدِ، وَأَحَقَّهُمْ بِالِاصْطِفَاءِ؛ فَالرُّسُلُ لَا يَكُونُونَ إِلَّا صَفْوَةَ الْخَلْقِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ، وَالَّذِي اخْتَارَهُمْ وَاصْطَفَاهُمْ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الَّذِي قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، فَاخْتِيَارُهُ إِيَّاهُمْ عَنْ عِلْمٍ مِنْهُ أَنَّهُمْ أَهْلٌ لِذَلِكَ، وَأَنَّ الْوَحْيَ يَصْلُحُ فِيهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]»(١).

* **النُّبُوَّةُ خَاصَّةٌ بِالرِّجَالِ، وَلَا تَكُونُ لِلنِّسَاءِ أَبَدًا**، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ: هُوَ وَاقِعُ حَالِ الرُّسُلِ، فَاللهُ -سُبْحَانَهُ- لَمْ يَخْتَرْ رُسُلَهُ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ إِلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ مَرِّ الْعُصُورِ إِلَّا مِنَ الرِّجَالِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ [الأنبياء:٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» باختصار (ص: ٦٣٩).

قَالَ الطَّبَرِيُّ(١): «يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾: يَا رَسُولَنَا ﴿مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾: لَا نِسَاءً وَلَا مَلَائِكَةً».

وَالْحِكْمَةُ مِنْ تَخْصِيصِ الرِّجَالِ بِالنُّبُوَّةِ دُونَ النِّسَاءِ: أَنَّ النُّبُوَّةَ عِبْءٌ ثَقِيلٌ وَتَكْلِيفٌ شَاقٌّ لَا تَتَحَمَّلُهُ طَبِيعَةُ الْمَرْأَةِ الضَّعِيفَةِ بِتَرْكِيبِهَا الْبِيُولُوجِيِّ وَالنَّفْسِيِّ الَّذِي أُعِدَّتْ مِنْ خِلَالِهِ لِأَدَاءِ وَظَائِفِ الْأُمُومَةِ وَالتَّرْبِيَةِ؛ وَلِهَذَا كَانَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الرِّجَالِ؛ لِأَنَّ مَهَامَّ الرِّسَالَةِ مُضْنِيَةٌ، تَحْتَاجُ إِلَىٰ مُصَابَرَةٍ وَمُجَاهَدَةٍ، وَتَتَطَلَّبُ الْكِفَاحَ وَالسَّفَرَ، وَخَوْضَ الْمَعَارِكِ، وَتَحَمُّلَ الْمَشَاقِّ، وَالرَّجُلُ أَقْدَرُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْمَرْأَةِ.

وَلَقَدْ عَانَىٰ الرُّسُلُ جَمِيعًا مِحَنًا قَاسِيَةً مِنْ قِبَلِ أَقْوَامِهِمْ حِينَ كَانُوا يَدْعُونَهُمْ، وَابْتُلُوا ابْتِلَاءً شَدِيدًا فِي سَبِيلِ تَبْلِيغِ دَعْوَةِ اللهِ؛ لِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ مُخَاطِبًا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

*** وَكَمَا اشْتَرَطَ فِي الرُّسُلِ أَنْ يَكُونُوا ذُكُورًا؛ كَذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ حُرًّا؛** لِأَنَّ الْعُبُودِيَّةَ مَطْعَنٌ يَطْعَنُ بِهِ الْكُفَّارُ عَلَى الرَّسُولِ، وَيُعَيِّرُونَهُ بِهَا، هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ أَنَّهَا قَيْدٌ لَا يَتَّفِقُ مَعَ الْمُهِمَّةِ الَّتِي أُرْسِلَ الرَّسُولُ مِنْ أَجْلِهَا.(*).

*** وَمِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ: الصِّدْقُ؛** فَالصِّدْقُ هُوَ مِحْوَرُ النُّبُوَّةِ، وَمَدَارُ ارْتِكَازِهَا، فَكُلُّ مَا تَلَفَّظَهُ الْأَنْبِيَاءُ صِدْقٌ خَالِصٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُجَافِيَ الْوَاقِعَ أَوِ الْحَقِيقَةَ، وَعِنْدَمَا يَشْرَحُ الْقُرْآنُ فَضَائِلَ الْأَنْبِيَاءِ يُشِيرُ إِلَىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ عِنْدَهُمْ، وَلَقَدْ وَصَفَ اللهُ

---

(١) «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٨٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٣٧٤: مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ: الرُّجُولَةُ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٨ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٤٢هـ| ١٠-٢-٢٠٢١م.

-تَعَالَىٰ- أَنْبِيَاءَهُ بِالصِّدْقِ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّعْيِينِ أَوِ الْإِجْمَالِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ؛ كَقَوْلِهِ عَنْ إِدْرِيسَ عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦﴾ [مريم:٥٦].

وَقَوْلِهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مريم:٤١].

وَقَوْلِهِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤﴾ [مريم:٥٤].

وَقَوْلِهِ عَنْ مُوسَىٰ عليه السلام: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ﴾ [الأعراف:١٠٥].

وَقَوْلِهِ عَنْ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:٤٦].

وَقَوْلِهِ فِيهِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١﴾ [يوسف:٥١].

وَقَوْلِهِ فِي حَقِّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ﴾ [الأحزاب:٢٢].

وَقَوْلِهِ فِي حَقِّهِ -أَيْضًا-: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣﴾ [الزمر:٣٢-٣٣].

فَسَمَّىٰ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ أَحْكَامِ شَرْعِهِ وَأَخْبَارِ رُسُلِهِ وَخَلْقِهِ، قُرْآنًا أَوْ سُنَّةً؛ سَمَّاهُ صِدْقًا، وَذَلِكَ وَصْفٌ لَهُ بِالِالْتِزَامِ؛ إِذْ لَا يَأْتِي بِالصِّدْقِ إِلَّا صَادِقٌ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا جِدَالَ فِيهِ؛ حَيْثُ كَانَ صِدْقُهُ مَعْلُومًا مِنْ حَدَاثَةِ سِنِّهِ، وَشَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ قَبْلَ أَصْدِقَائِهِ؛ فَإِنَّ الْأَعْدَاءَ مِنَ الْكَفَرَةِ وَالْمُشْرِكِينَ لَمْ يَكُونُوا

يَشُكُّونَ يَوْمًا فِي صِدْقِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام:٣٣].

لَقَدِ اشْتُهِرَ الرَّسُولُ ﷺ مُنْذُ الصِّغَرِ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ؛ حَتَّىٰ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُسَمُّونَهُ الصَّادِقَ الْأَمِينَ، وَكَانَتْ ثِقَتُهُمْ بِهِ تَامَّةً، وَمَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ بُعِثَ بَعْدُ نَبِيًّا؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مَحَطَّ ثِقَةِ الْجَمِيعِ؛ إِذْ كَانَ يَحْمِلُ جَمِيعَ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ.

وَهَا هُو أَبُو سُفْيَانَ أَلَدُّ أَعْدَاءِ الرَّسُولِ ﷺ آنَذَاكَ يَشْهَدُ بِصِدْقِهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْ هِرَقْلَ؛ فَقَدْ سَأَلَهُ هِرَقْلُ: «هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟».

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: «لَا».

ثُمَّ قَالَ لَهُ هِرَقْلُ بَعْدُ: «وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَىٰ اللهِ»(١). (*).

* **وَمِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ: الْأَمَانَةُ،** وَالْأَمَانَةُ هِيَ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ أَمِينًا عَلَى الْوَحْيِ، يُبَلِّغُ أَوَامِرَ اللهِ وَنَوَاهِيَهُ إِلَىٰ عِبَادِهِ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ، وَدُونَ تَحْرِيفٍ أَوْ تَبْدِيلٍ؛ امْتِثَالًا لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب:٣٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٧) من حديث أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٣٧٦: مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ: الصِّدْقُ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٨ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٤٢هـ| ١٠-٢-٢٠٢١م.

فَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعًا مُؤْتَمَنُونَ عَلَىٰ الْوَحْيِ، يُبَلِّغُونَ أَوَامِرَ اللهِ كَمَا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخُونُوا أَوْ يُخْفُوا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ؛ لِأَنَّ الْخِيَانَةَ تَتَنَافَىٰ مَعَ الْأَمَانَةِ، وَهَلْ يَلِيقُ بِالنَّبِيِّ أَنْ يَخُونَ أَمَانَتَهُ فَلَا يَنْصَحُ الْأُمَّةَ، وَلَا يُبَلِّغُ رِسَالَةَ اللهِ؟!

وَلِذَلِكَ كَانَ وَصْفُ الْأَمَانَةِ وَاجِبًا، وَيَجِبُ عَلَىٰ الْأُمَّةِ اعْتِقَادُهُ فِيهِمْ، وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ عَلَيْهِمْ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَمَا قَالَ هُودٌ عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف:٦٨].

وَكَمَا قَالَ عَنْ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف:٥٤].

وَقَصَّ عَنْ نُوحٍ، وَهُودٍ، وَصَالِحٍ، وَلُوطٍ، وَشُعَيْبٍ، وَمُوسَىٰ عليهم السلام مَقَالَةَ كُلٍّ مِنْهُمْ لِقَوْمِهِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ لِلْإِيمَانِ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء:١٠٧ و١٢٥ و١٤٣ و١٦٢ و١٧٨].

وَقَصَّ مَقَالَةَ ابْنَةِ شُعَيْبٍ فِي وَصْفِهَا لِمُوسَىٰ عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص:٢٦].

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْوَاصِفَةِ لَهُمْ بِهَذَا الْخُلُقِ دُونَ سَائِرِ أَوْصَافِهِمُ الْحَمِيدَةِ، وَكُلُّ أَوْصَافِهِمْ حَمِيدَةٌ، فَدَلَّ اخْتِيَارُ وَصْفِ الْأَمَانَةِ لِأَنْبِيَاءِ اللهِ عليهم السلام فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَعَ كَثْرَةِ صِفَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمُ الْكَرِيمَةِ عَلَىٰ عَظَمَةِ هَذَا الْخُلُقِ، وَبَالِغِ مَنْزِلَتِهِ.

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الْأَنْبِيَاءِ الْأَمَانَةُ لَتَغَيَّرَتْ مَظَاهِرُ الرِّسَالَةِ وَتَبَدَّلَتْ، وَلَمَا اطْمَأَنَّ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ؛ وَلِهَذَا تَقُولُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ

كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةِ ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب:٣٧]»(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَدْ نَشَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، لَا يَعْرِفُ لَهُمَا بَدِيلًا مُنْذُ نَشْأَتِهِ وَتَرَعْرُعِهِ، وَهُوَ لَا يَكَادُ يُعْرَفُ فِي أَوْسَاطِ قَوْمِهِ إِلَّا بِالْأَمِينِ، فَيَقُولُونَ: جَاءَ الْأَمِينُ، ذَهَبَ الْأَمِينُ، حَتَّىٰ حَلَّ مَحَلَّ الرِّضَا فِي قُلُوبِهِمْ وَعُقُولِهِمْ، كَمَا دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ احْتِكَامُهُمْ إِلَيْهِ فِي قِصَّةِ رَفْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ عِنْدَ بِنَائِهِمُ الْكَعْبَةَ الْمُشَرَّفَةَ بَعْدَ تَنَازُعِهِمْ فِي اسْتِحْقَاقِ شَرَفِ رَفْعِهِ وَوَضْعِهِ فِي مَحَلِّهِ؛ حَتَّىٰ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ لَوْلَا اتِّفَاقُهُمْ عَلَىٰ تَحْكِيمِ أَوَّلِ دَاخِلٍ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَكَانَ ذَلِكَ الدَّاخِلُ مُحَمَّدًا ﷺ الْمَرْضِيَّ لَدَيْهِمْ جَمِيعًا، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ، رَضِينَا! هَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

بَلْ لَقَدْ جَعَلَتْهُمْ ثِقَتُهُمُ الْكَبِيرَةُ بِأَمَانَتِهِ ﷺ يَنْقُلُونَ إِلَىٰ بَيْتِهِ أَمْوَالَهُمْ وَنَفَائِسَ مُدَّخَرَاتِهِمْ؛ لِتَكُونَ وَدِيعَةً عِنْدَهُ، فَكَانَ لَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يَخْشَىٰ عَلَيْهِ إِلَّا وَضَعَهُ أَمَانَةً عِنْدَهُ؛ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبَهُمْ حَتَّىٰ بَعْدَ مُعَادَاتِهِ بِسَبَبِ دَعْوَتِهِ لَهُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، لَا يَخْتَلِجُهُمْ شَكٌّ فِي أَمَانَتِهِ وَهُمْ لَهُ ﷺ مُعَادُونَ.

وَلَقَدْ شَهِدَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْأَمَانَةِ الْأَعْدَاءُ وَالْأَصْدِقَاءُ عَلَىٰ حَدٍّ سَوَاءٍ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ شُيُوعِ هَذَا الْخُلُقِ فِيهِ، وَتَسْلِيمِ الْكُلِّ لَهُ بِهِ.(*).

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٣٧٩: مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ: الْأَمَانَةُ)، الْخَمِيسُ ٢٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٤٢هـ| ١١-٢-٢٠٢١م.

*** وَمِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ: الْفَطَانَةُ، وَالْحِكْمَةُ، وَقُوَّةُ الْحُجَّةِ.**

الْفَطَانَةُ وَالْحِكْمَةُ وَقُوَّةُ الْحُجَّةِ صِفَاتٌ وَاضِحَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فِي سِيَرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

قَالَ -تَعَالَىٰ- عَنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام:٨٣].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- عَنْ دَاوُدَ عليه السلام: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ﴾ [البقرة:٢٥١].

وَقَالَ -أَيْضًا-: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص:٢٠].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- عَنْ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف:٥٥].

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء:٥١].

وَإِبْرَاهِيمُ عليه السلام كَانَ فِي غَايَةِ الذَّكَاءِ وَالنَّبَاهَةِ وَالْحِكْمَةِ، وَقُوَّةِ الْحُجَّةِ، وَبُعْدِ النَّظَرِ، وَانْظُرْ إِلَيْهِ فِي مَوْقِفِ الْمُحَاجَّةِ لِقَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ تَجِدْهُ فِي غَايَةِ النُّبُوغِ وَالْحِكْمَةِ وَالذَّكَاءِ.

وَأَمَّا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَقَدْ قَالَ -تَعَالَىٰ- عَنْهُ: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [القلم:١-٢].

حَيْثُ أَقْسَمَ -تَعَالَىٰ- قَسَمًا مُؤَكَّدًا عَلَىٰ نَفْيِ الْجُنُونِ عَنْهُ، الَّذِي كَانَ يَرْمِيهِ بِهِ بَعْضُ الْمُشَاغِبِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ.

وَفِي ذَلِكَ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ لِكَمَالِ عَقْلِهِ، وَأَنَّهُ مِنْ إِنْعَامِ اللهِ عَلَيْهِ بِحَصَافَةِ الْعَقْلِ، وَالشَّهَامَةِ الَّتِي يَقْتَضِيهَا التَّأْهِيلُ لِلنُّبُوَّةِ بِمَنْزِلَةٍ عُظْمَىٰ لَا يُرْقَىٰ إِلَيْهَا.

وَقَدْ بَرْهَنَ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ كَمَالِ عَقْلِهِ إِضَافَةً إِلَىٰ قَسَمِهِ الْمُؤَكَّدِ بِعَظَمَةِ أَخْلَاقِهِ؛ حَيْثُ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٣-٤]؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي مُنْتَهَىٰ الْكَمَالِ الْعَقْلِيِّ وَالصَّفَاءِ الذِّهْنِيِّ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ أَصْلُ فُرُوعِ الْفَضَائِلِ الْخُلُقِيَّةِ، وَعُنْصُرُ يَنَابِيعِهَا، وَنُقْطَةُ دَائِرَتِهَا، حَيْثُ يَتَفَرَّعُ مِنْهُ ثُقُوبُ الرَّأْيِ، وَجَوْدَةُ الْفِطْنَةِ وَالْإِصَابَةِ، وَصِدْقُ الظَّنِّ، وَالنَّظَرُ لِلْعَوَاقِبِ وَمَصَالِحِ النَّفْسِ، وَمُجَاهَدَةُ الشَّهَوَاتِ، وَحُسْنُ التَّدْبِيرِ وَالسِّيَاسَةِ، وَاقْتِنَاءُ الْفَضَائِلِ، وَتَجَنُّبُ الرَّذَائِلِ، وَقَدْ كَانَ ﷺ مِنْ هَذِهِ كُلِّهَا فِي الْغَايَةِ الْقُصْوَىٰ الَّتِي لَمْ يَبْلُغْهَا بَشَرٌ سِوَاهُ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ أَنَّهُ لَا مِرْيَةَ فِي أَنَّهُ ﷺ أَعْقَلُ النَّاسِ وَأَذْكَاهُمْ(١): «وَمَنْ تَأَمَّلَ تَدْبِيرَهُ أَمْرَ بَوَاطِنِ الْخَلْقِ وَظَوَاهِرِهِمْ، وَسِيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ مَعَ عَجِيبِ شَمَائِلِهِ، وَبَدِيعِ سِيَرِهِ؛ فَضْلًا عَمَّا أَفَاضَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَقَرَّرَهُ مِنَ الشَّرْعِ دُونَ تَعَلُّمٍ سَبَقَ، وَلَا مُمَارَسَةٍ تَقَدَّمَتْ، وَلَا مُطَالَعَةٍ لِلْكُتُبِ مِنْهُ؛ مَنْ تَأَمَّلَ ذَلِكَ لَمْ يَمْتَرِ فِي رُجْحَانِ عَقْلِهِ، وَثُقُوبِ فَهْمِهِ لِأَوَّلِ بَدِيهَةٍ،

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ»: (١/ ١٦١).

صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». (*).

*** وَمِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ: الْعَقْلُ الرَّاجِحُ، وَالذَّكَاءُ الْفَذُّ، وَتَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ؛** فَالْأَنْبِيَاءُ أُعْطُوا الْعُقُولَ الرَّاجِحَةَ، وَالذَّكَاءَ الْفَذَّ، وَاللِّسَانَ الْمُبِينَ، وَالْبَدِيهَةَ الْحَاضِرَةَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَالْقُدُرَاتِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا لِتَحَمُّلِ الرِّسَالَةِ ثُمَّ إِبْلَاغِهَا، وَمُتَابَعَةِ الَّذِينَ تَقَبَّلُوهَا بِالتَّوْجِيهِ وَالتَّرْبِيَةِ.

لَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَحْفَظُ مَا يُلْقَىٰ إِلَيْهِ، وَلَا يَنْسَىٰ مِنْهُ كَلِمَةً ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ [الأعلىٰ:٦].

وَقَدْ كَانُوا يَعْرِضُونَ دِينَ اللهِ لِلْمُعَارِضِينَ، وَيُفْحِمُونَهُمْ فِي مَعْرِضِ الْحِجَاجِ، وَفِي هَذَا الْمَجَالِ أَسْكَتَ إِبْرَاهِيمُ خَصْمَهُ ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة:٢٥٨].

وَقَالَ اللهُ مُعَقِّبًا عَلَىٰ مُحَاجَجَةِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾ [الأنعام:٨٣].

وَمُوسَىٰ كَانَ يُجِيبُ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ الْبَدِيهَةِ حَتَّىٰ انْقَطَعَ، فَانْتَقَلَ إِلَىٰ التَّهْدِيدِ بِالْقُوَّةِ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ۝٢٩﴾ [الشعراء:٢٣-٢٩].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٣٧٨: مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ: الْفَطَانَةُ، وَالْحِكْمَةُ، وَقُوَّةُ الْحُجَّةِ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٨ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٤٢هـ| ١٠-٢-٢٠٢١م.

وَمَعَ الْكَمَالِ الَّذِي حَبَا اللهُ بِهِ رُسُلَهُ فِي صُوَرِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَأَخْلَاقِهِمُ الْبَاطِنَةِ، وَمَعَ الْمَوَاهِبِ وَالسَّجَايَا الَّتِي أَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا فِي ذَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ؛ هُنَاكَ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْكَمَالِ وَفَّقَ اللهُ رُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ لِتَحْصِيلِهِ؛ وَهُوَ تَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَكُلَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ تَحْقِيقًا لِلْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- كَانَ أَكْثَرَ رُقِيًّا فِي سُلَّمِ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِيِّ، وَكُلَّمَا ابْتَعَدَ عَنْ تَحْقِيقِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ هَبَطَ وَانْحَدَرَ، وَالرُّسُلُ حَازُوا قَصَبَ السَّبْقِ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ؛ فَقَدْ كَانَتْ حَيَاتُهُمُ انْطِلَاقَةً جَادَّةً فِي تَحْقِيقِ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةِ.

وَهَذَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ يُثْنِي عَلَيْهِ رَبُّهُ فِي أَشْرَفِ الْمَقَامَاتِ بِالْعُبُودِيَّةِ، فَيَصِفُهُ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي مَقَامِ الْوَحْيِ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم:١٠].

وَفِي مَقَامِ إِنْزَالِ الْكِتَابِ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١].

وَفِي مَقَامِ الدَّعْوَةِ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩].

وَفِي مَقَامِ الْإِسْرَاءِ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١].

وَبِهَذِهِ الْعُبُودِيَّةِ التَّامَّةِ اسْتَحَقَّ ﷺ التَّقْدِيمَ عَلَىٰ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْمَسِيحَ عليه السلام يَقُولُ لِلنَّاسِ إِذَا طَلَبُوا مِنْهُ الشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ طَلَبِهَا مِنَ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ: «**اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، عَبْدٌ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**

وَمَا تَأَخَّرَ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَإِلَيْكَ صُورَةً مِنْ صُوَرِ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةِ تَرْوِيهَا لَنَا أُمُّنَا عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيهَا-، قَالَتْ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ! كُلْ -جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ- مُتَّكِئًا؛ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ، فَأَحْنَىٰ رَأْسَهُ حَتَّىٰ كَادَ أَنْ تُصِيبَ جَبْهَتُهُ الْأَرْضَ، وَقَالَ: «**بَلْ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ**»(٢). رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»، وَابْنُ سَعْدٍ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزُّهْدِ».(*).

* **مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ: أَنَّهُمْ خَيْرُ النَّاسِ نَسَبًا**؛ فَالرُّسُلُ ذَوُو أَنْسَابٍ كَرِيمَةٍ، فَجَمِيعُ الرُّسُلِ بَعْدَ نُوحٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَجَمِيعُ الرُّسُلِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ**﴾ [الحديد:٢٦].

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- يَصْطَفِي لِرِسَالَتِهِ مَنْ كَانَ خِيَارَ قَوْمِهِ فِي النَّسَبِ، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَرْوِيهِ الْبُخَارِيُّ يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ**

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن: باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، (٤٧١٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، (١٩٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٩٠٢)، وأبو يعلىٰ (٤٩٢٠)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٦١٧) مطولا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٣٨٦: مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ: نْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ: الْعَقْلُ الرَّاجِحُ، وَالذَّكَاءُ الْفَذُّ، وَتَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ)، الْخَمِيسُ ٢٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٤٢هـ| ١١-٢-٢٠٢١م.

بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّىٰ كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ»(١).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(٢): «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ».(*).

* وَالْأَنْبِيَاءُ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ؛ فَالْغَيْبُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ.

وَإِنَّمَا عِلْمُهُمْ مِنْ بَابِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وَقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ﴾ [آل عمران:١٧٩].

وَقَدْ قَالَ -تَعَالَىٰ- عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم:٣-٤].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ﴾ [هود:٤٩].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع الليثي رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٣٨٥: مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُمْ خَيْرُ النَّاسِ نَسَبًا)، الْخَمِيسُ ٢٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٤٢هـ| ١١-٢-٢٠٢١م.

وَأَمَرَهُ -تَعَالَىٰ- أَنْ يُبَلِّغَ النَّاسَ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ﴾ [الأنعام:٥٠].

وَأَمَرَهُ -تَعَالَىٰ- أَنْ يُخْبِرَ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف:١٨٨].

وَقَالَ عَنْ عُمُومِ رُسُلِهِ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة:١٠٩].

وَقَالَ عَنْ مَلَائِكَتِهِ: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢].

وَقَالَ عَنِ الْجِنِّ: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ:١٤].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- عَنْ نَفْسِهِ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام:٥٩].

وَأَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُبَلِّغَ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل:٦٥].

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يونس:٢٠].

فَالْغَيْبُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، قَالَ مَسْرُوقٌ: «كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ! ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ.

قُلْتُ: «مَا هُنَّ؟».

قَالَتْ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ».

قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا، فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير:٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم:١٣]؟».

فَقَالَتْ: «أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ؛ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ**».

فَقَالَتْ: «أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣]؟

أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورىٰ:٥١]؟

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ [المائدة:٦٧].

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فقَدْ أَعْظَمَ علَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ»(٢). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَمَعَ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ فِي عَدَمِ عِلْمِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ الْغَيْبَ نَجِدُ مَنْ يَنْسُبُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ غَيْرِهِ خِلَافَ ذَلِكَ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ جَهْلٌ عَظِيمٌ وَضَلَالٌ مُبِينٌ.

النَّبِيُّ ﷺ لَا يَعْلَمُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُ اللهُ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦- ٢٧] .(*).

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٨٢٧: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ جَلَّ وَعَلَا، حَتَّىٰ الْأَنْبِيَاءُ عليهم السلام)، السَّبْتُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤٢هـ| ١٣-٣-٢٠٢١م.

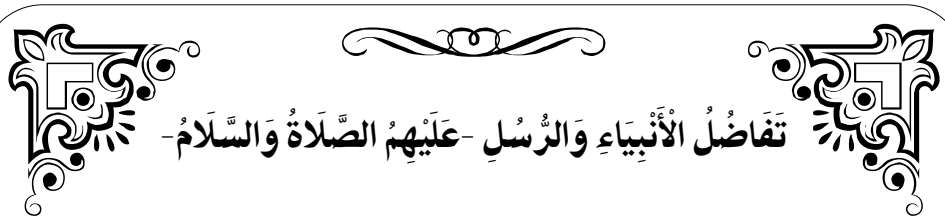

تَفَاضُلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-

لَقَدِ اخْتَارَ اللهُ ﷻ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، وَجَعَلَ فِيهِمْ أَفْضَلَ الصِّفَاتِ مِنْ كَمَالِ الْخَلْقِ، وَحُسْنِ الصُّورَةِ، وَشَرَفِ النَّسَبِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَجَمِيعِ الْمَحَاسِنِ وَالْكَمَالِ الْبَشَرِيِّ؛ إِذْ رُتْبَتُهُمْ أَشْرَفُ الرُّتَبِ، وَدَرَجَاتُهُمْ أَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ؛ وَلَكِنْ فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء:٥٥].

فَالْأَنْبِيَاءُ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ عَلَىٰ حَدٍّ وَاحِدٍ؛ إِذْ هِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَتَفَاضَلُ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ فِي زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ وَالْخُصُوصِ، وَالْكَرَامَاتِ وَالرُّتَبِ، وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلَا تَتَفَاضَلُ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِأُمُورٍ أُخَرَ زَائِدَةٍ عَلَيْهِمْ؛ وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ رُسُلٌ، وَمِنْهُمْ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رُفِعَ مَكَانًا عَلِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيًّا، وَأُوتِيَ بَعْضُهُمُ الزَّبُورَ، وَبَعْضُهُمُ الْبَيِّنَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهَ تَعَالَىٰ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، وَأَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ هُوَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ بَلْ هُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

وَقَدْ أَخْبَرَنَا الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **أَنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ، كَمَا قَالَ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء:٥٥].

وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالرُّسُلُ بَعْدَ ذَلِكَ مُتَفَاضِلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وَأَفْضَلُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ خَمْسَةٌ: مُحَمَّدٌ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ عليهم السلام، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وَقَدْ ذَكَرَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي كِتَابِهِ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى:١٣].

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ﴾ [الأحزاب:٧].

وَالَّذِي يَتَأَمَّلُ الْآيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَخْبَرَتَا بِتَفَاضُلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ يَجِدُ أَنَّ اللهَ فَضَّلَ مَنْ فَضَّلَ مِنْهُمْ بِإِعْطَائِهِ خَيْرًا لَمْ يُعْطِهِ غَيْرَهُ، أَوْ بِرَفْعِ دَرَجَتِهِ فَوْقَ دَرَجَةِ غَيْرِهِ، أَوْ بِاجْتِهَادِهِ فِي عِبَادَةِ اللهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَقِيَامِهِ بِالْأَمْرِ الَّذِي وُكِلَ إِلَيْهِ.

فَدَاوُدُ عليه السلام **فَضَّلَهُ اللهُ بِإِعْطَائِهِ الزَّبُورَ:** ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء:١٦٣].

وَأَعْطَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة:٥٣].

وَالْكِتَابُ هُوَ التَّوْرَاةُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٤].

وَأَعْطَىٰ عِيسَىٰ الْإِنْجِيلَ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٦].

وَاخْتَصَّ اللهُ آدَمَ بِأَنَّهُ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَهُ.

وَفَضَّلَ نُوحًا بِأَنَّهُ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاهُ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا.

وَفَضَّلَ إِبْرَاهِيمَ بِاتِّخَاذِهِ خَلِيلًا: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء:١٢٥]، **وَجَعَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا** ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤].

وَفَضَّلَ اللهُ مُوسَىٰ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف:١٤٤]، **وَاصْطَنَعَهُ لِنَفْسِهِ:** ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه:٤١].

وَفَضَّلَ عِيسَىٰ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَانَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١].

وَيَتَفَاضَلُ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ؛ فَالنَّبِيُّ قَدْ يَكُونُ نَبِيًّا لَا غَيْرَ، وَقَدْ يَكُونُ نَبِيًّا مَلِكًا، وَقَدْ يَكُونُ عَبْدًا رَسُولًا، فَالنَّبِيُّ الَّذِي كُذِّبَ وَلَمْ يُتَّبَعْ وَلَمْ يُطَعْ هَذَا نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِمَلِكٍ، أَمَّا الَّذِي صُدِّقَ وَاتُّبِعَ وَأُطِيعَ فَإِنْ كَانَ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ فَهُوَ عَبْدٌ نَبِيٌّ، لَيْسَ بِمَلِكٍ، وَإِنْ كَانَ يَأْمُرُ بِمَا يُرِيدُهُ مُبَاحًا لَهُ فَهُوَ نَبِيٌّ مَلِكٌ، كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِسُلَيْمَانَ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص:٣٩].

فَالنَّبِيُّ الْمَلِكُ هُنَا قَسِيمُ الْعَبْدِ الرَّسُولِ، كَمَا قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اخْتَرْ إِمَّا عَبْدًا رَسُولًا وَإِمَّا نَبِيًّا مَلِكًا، وَحَالُ الْعَبْدِ الرَّسُولِ أَكْمَلُ مِنْ حَالِ النَّبِيِّ الْمَلِكِ، كَمَا هُوَ حَالُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ عَبْدًا رَسُولًا، مُؤَيَّدًا مُطَاعًا مَتْبُوعًا، وَبِذَلِكَ يَكُونُ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ الْخَلْقُ، وَيُرْحَمُوا بِهِ، وَيُرْحَمُ بِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَرْ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا لِئَلَّا يَنْقُصَ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الِاسْتِمْتَاعِ بِالرِّيَاسَةِ وَالْمَالِ عَنْ نَصِيبِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَالْعَبْدُ الرَّسُولُ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنَ النَّبِيِّ الْمَلِكِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَمْرُ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَيُوسُفَ.(*).

وَرَدَتْ أَحَادِيثُ تَنْهَىٰ الْمُسْلِمِينَ عَنْ تَفْضِيلِ بَعْضِ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَمِنْ ذَلِكَ: مَا رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ رضي الله عنه عَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَالَ: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٥١١: تَفَاضُلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-)، الْأَحَدُ ٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤٢هـ| ٢١-٢-٢٠٢١م.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**»(١) أَيْ: لَا تَقُولُوا: فُلَانٌ خَيْرٌ مِنْ فُلَانٍ، وَلَا فُلَانٌ أَفْضَلُ مِنْ فُلَانٍ، يُقَالُ: خَيَّرَ فُلَانٌ بَيْنَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَفَضَّلَ بَيْنَهُمَا إِذَا قَالَ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ لَا تُعَارِضُ النُّصُوصَ الْقُرْآنِيَّةَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ فَضَّلَ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبَعْضَ الْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ النَّهْيُ الَّذِي وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ عَلَىٰ النَّهْيِ عَنِ التَّفْضِيلِ إِذَا كَانَ عَلَىٰ وَجْهِ الْحَمِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ وَالِانْتِقَاصِ، أَوْ كَانَ هَذَا التَّفْضِيلُ يُؤَدِّي إِلَىٰ خُصُومَةٍ أَوْ فِتْنَةٍ.

يَدُلُّنَا عَلَىٰ هَذَا سَبَبُ وُرُودِ الْحَدِيثِ، فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ! فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ! فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ يَدَهُ فَلَطَمَ الْيَهُودِيَّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ».

فَقَالَ ﷺ: «**لَا تُخَيِّرُونِي عَلَىٰ مُوسَىٰ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَىٰ اللهُ**»(٢). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٤، ٣٤١٥)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: «**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**».

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ(١): «قَالَ الْعُلَمَاءُ فِي نَهْيِهِ عَنِ التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ: إِنَّمَا نَهَىٰ عَنْ ذَلِكَ مَنْ يَقُولُهُ بِرَأْيِهِ، لَا مَنْ يَقُولُهُ بِدَلِيلٍ، أَوْ مَنْ يَقُولُهُ بِحَيْثُ يُؤَدِّي إِلَىٰ تَنْقِيصِ الْمَفْضُولِ، أَوْ يُؤَدِّي إِلَىٰ الْخُصُومَةِ وَالتَّنَازُعِ، أَوِ الْمُرَادُ: لَا تُفَضِّلُوا بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ؛ بِحَيْثُ لَا يُتْرَكُ لِلْمَفْضُولِ فَضِيلَةٌ».

وَنَقَلَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ قَالَ: «الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي النَّهْيِ عَنِ التَّخْيِيرِ إِنَّمَا هِيَ فِي مُجَادَلَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَتَفْضِيلِ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَىٰ بَعْضٍ بِالْمُخَايَرَةِ؛ لِأَنَّ الْمُخَايَرَةَ إِذَا وَقَعَتْ بَيْنَ أَهْلِ دِينَيْنِ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَخْرُجَ أَحَدُهُمَا إِلَىٰ الِازْدِرَاءِ بِالْآخَرِ فَيُفْضِي إِلَىٰ الْكُفْرِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ التَّخْيِيرُ مُسْتَنِدًا إِلَىٰ مُقَابَلَةِ الْفَضَائِلِ لِتَحْصِيلِ الرُّجْحَانِ فَلَا يَدْخُلُ فِي النَّهْيِ».(*).

فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ وَقَوْلُهُ ﷺ: «**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَىٰ مُوسَىٰ**»(٣)؛

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٤٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ» (مُحَاضَرَة: ٥١٢: النُّصُوصُ الَّتِي تَنْهَىٰ عَنِ التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ)، الْأَحَدُ ٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤٢هـ| ٢١-٢-٢٠٢١م.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الخُصُومَاتِ: بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الإِشْخَاصِ وَالخُصُومَةِ...، (٥/ ٧٠، رقم ٢٤١١)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْفَضَائِلِ: بَابُ مِنْ فَضَائِلِ مُوسَىٰ ﷺ، (٤/ ١٨٤٤، رقم ٢٣٧٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وَفِي رُوَايَةٍ لَهُمَا: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ**...».

لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا النَّهْيِ النَّهْيُ عَنْ تَفْضِيلِ رَسُولٍ بِعَيْنِهِ، كَأَنْ نَقُولَ: مُوسَىٰ أَفْضَلُ مِنْ عِيسَىٰ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ التَّفْضِيلُ عَلَىٰ وَجْهِ الْفَخْرِ أَوِ الْحَمِيَّةِ أَوِ الْعَصَبِيَّةِ، وَإِذَا كَانَ عَلَىٰ وَجْهِ الِانْتِقَاصِ بِالْمَفْضُولِ وَالتَّقْلِيلِ مِنْ شَأْنِهِ(١).

وَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي فَضَّلَ اللهُ بِهَا بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَىٰ بَعْضٍ: أَنَّ اللهَ قَدْ خَصَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَالْخَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ بِأَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الْمَحَبَّةِ، وَهِيَ الْخُلَّةُ، وَكِلَاهُمَا خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، كَمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

وَقَالَ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ ﷻ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٣).

وهَذَانِ الدَّلِيلَانِ يُبْطِلَانِ قَوْلَ مَنْ قَالَ: الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَالْمَحَبَّةُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَالْمَحَبَّةُ قَدْ ثَبَتَتْ لِغَيْرِ الرَّسُولِ ﷺ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران:٧٦]، وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢].

---

(١) «**شرح الطحاوية**»: (١٥٩ - ١٦٠)، باختصار.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ: بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ...، (١/ ٣٧٧، رقم ٥٣٢)، مِنْ حَدِيثِ: جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ: بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، (٤/ ١٨٥٥، رقم ٢٣٨٣)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

بَلْ إِنَّ الْخُلَّةَ خَاصَّةً بِهِمَا، وَأَمَّا الْمَحَبَّة فَهِيَ عَامَّةٌ[1]، وَكَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُحِبِّينَ لِلرَّسُولِ ﷺ إِذَا ذَكَرُوهُ، قَالُوا: الْحَبِيبُ، وَإِنَّمَا هُوَ الْخَلِيلُ ﷺ، وَالْخُلَّةُ فَوْقَ الْمَحَبَّةِ.

وَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي خُصَّ بِهَا اللهُ نَبِيَّهُ مُوسَىٰ عَلَىٰ سَائِرِ الرُّسُلِ: تَكْلِيمَ اللهِ لَهُ دُونَ وَاسِطَةٍ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَذَلِكَ حِينَمَا كَلَّمَهُ اللهُ فِي طُورِ سَيْنَاءَ دُونَ وَاسِطَةٍ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه:١٠-١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف:١٤٤-١٤٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء:١٦٤].

---

(١) «شرح الطحاوية»: (١/ ١٦٥).

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ التَّوْرَاةَ عِنْدَ جَبَلِ الطُّورِ فِيهَا الْمَوَاعِظُ، وَفِيهَا تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِمَنْ آمَنَ بِهَا وَاتَّبَعَهَا: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة:٥٣-٥٤].، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص:٤٣].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» (مُحَاضَرَة: ١١: بَاب: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ عليهم السلام)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٧هـ| ٣١-٨-٢٠١٦م.

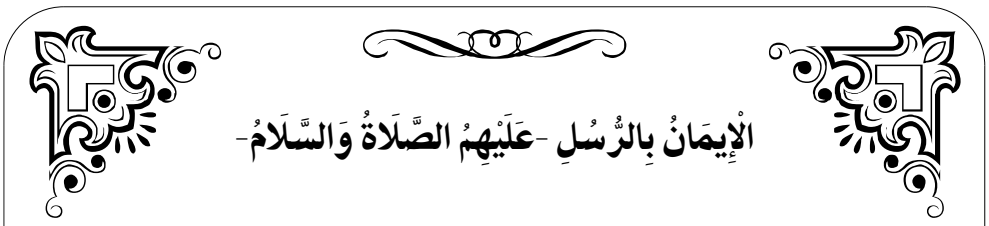

الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-

الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ هُوَ الرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَتِمُّ إِيمَانُ الْعَبْدِ إِلَّا بِهِ، وَمَنْ كَفَرَ بِهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، وَلَا يَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ اسْمَ الْإِيمَانِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥].

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء:١٣٦].

أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَغَيْرِهَا أَنَّ الرَّسُولَ وَمَنْ تَحَقَّقَ فِيهِمْ وَصْفُ الْإِيمَانِ وَالصِّدْقِ يُؤْمِنُونَ بِالرُّسُلِ، وَرَتَّبَ ﷻ عَلَىٰ عَدَمِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ.. رَتَّبَ عَلَىٰ عَدَمِ الْإِيمَانِ بِتِلْكَ الْأَرْكَانِ الْكُفْرَ وَالضَّلَالَ الْبَعِيدَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿رُسُلِهِۦ﴾: جَمْعٌ مُضَافٌ، وَالْجَمْعُ الْمُضَافُ يُفِيدُ الْعُمُومَ، فَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ كُلُّ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ: «فَجَعَلَ اللهُ ﷻ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِيمَانَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ، وَسَمَّىٰ مَنْ آمَنَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ مُؤْمِنِينَ، كَمَا جَعَلَ الْكَافِرِينَ مَنْ كَفَرَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فِيمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(٢) قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «مَا الْإِيمَانُ؟».

قَالَ: «**الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ**»(٣).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْإِيمَانَ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَرْكَانِ، فَإِنِ انْتَفَىٰ مِنْهَا رُكْنٌ رَجَعَ عَلَىٰ نَفْيِ الْإِيمَانِ نَفْسِهِ، وَالْكُفْرُ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَرْكَانِ يَسْتَلْزِمُ الْكُفْرَ بِغَيْرِهِ؛ فَمَنْ كَفَرَ بِاللهِ جَلَّوَعَلَا كَفَرَ بِالْجَمِيعِ، وَمَنْ كَفَرَ بِالْمَلَائِكَةِ كَفَرَ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ، فَكَانَ كَافِرًا بِاللهِ؛ إِذْ كَذَّبَ كُتُبَهُ وَرُسُلَهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَفَرَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ كَذَّبَ الْكُتُبَ وَالرُّسُلَ فَكَانَ كَافِرًا(٤)، كَمَا أَنَّ الْكُفْرَ بِالرُّسُلِ يُنَافِي الْإِقْرَارَ بِالرَّبِّ؛ فَالرُّسُلُ إِنَّمَا جَاءُوا بِالتَّعْرِيفِ بِالرَّبِّ -جَلَّ جَلَالُهُ-، فَمَنْ أَنْكَرَ الرُّسُلَ أَنْكَرَ الرَّبَّ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ الرُّسُلُ.

---

(١) «**شرح الطحاوية**»: (٢/ ٤٠١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا، وقد تقدم.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الإِيمَانِ: بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ...، (١/ ١١٤، رقم ٥٠)، واللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الإِيمَانِ: بَابٌ: الْإِيمَانُ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، (١/ ٣٩، رقم ٩).

(٤) «**مجموع الفتاوىٰ**»: (١٩/ ١٩٤ - ١٩٥).

وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْكُفْرَ بِنَبِيٍّ وَاحِدٍ كُفْرٌ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء:١٠٥]، وَلَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ نَبِيٌّ قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَذَّبُوا نُوحًا كَانُوا مُكَذِّبِينَ بِالرُّسُلِ أَجْمَعِينَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء:١٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان:٣٧].

فَجَعَلَ اللهُ تَكْذِيبَهُمْ لِرَسُولِهِمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ جَعَلَهُ تَكْذِيبًا لِلرُّسُلِ كُلِّهِمْ، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ [الفرقان:٣٧]، وَهُمْ إِنَّمَا كَذَّبُوا نُوحًا الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ.

*** الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ يَكُونُ مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا:**

فَأَمَّا الْمُجْمَلُ: وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي لَا يَتِمُّ إِيمَانُ الْعَبْدِ بِالرُّسُلِ إِلَّا بِهِ؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران:١٧٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ [الحديد:١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة:١٧٧].

فَأَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِالْإِيمَانِ بِكُلِّ مَنْ بَعَثَهُ مِنْ رُسُلِهِ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [آل عمران:١٧٩].

وَالْأَمْرُ يَقْتَضِي الْوُجُوبَ.

كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾: يُفِيدُ الْعُمُومَ؛ لِأَنه جَمْعٌ مُضَافٌ، وَالْجَمْعُ الْمُضَافُ يُفِيدُ الْعُمُومَ، فَهُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ، كَمَا بَيَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الْآيَاتِ أَنَّ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالرُّسُلِ كُلِّهِمْ، وَرَتَّبَ عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِهِمُ الضَّلَالَ الْبَعِيدَ، وَكَوْنَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ.

*** وَمِمَّا يَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ: تَصْدِيقُهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوا، وَإِيجَابُ طَاعَتِهِمْ فِيمَا أَوْجَبُوا؛** فَإِنَّ الرُّسُلَ تَضَمَّنَ بَعْثَتُهُمْ أَصْلَيْنِ: الْإِخْبَارُ وَالْأَمْرُ، وَالْإِيمَانُ بِهِمْ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَصْدِيقِهِمْ فِيمَا أَخْبَرُوا، وَإِيجَابِ طَاعَتِهِمْ فِيمَا أَوْجَبُوا طَاعَتَهُمْ فِيهِ.

*** وَمِمَّا يَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ -أَيْضًا-: الْإِيمَانُ بِجَمِيعِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ وَلَا تَبْعِيضٍ.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ

أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة:١٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء:١٥٢].

فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ اللهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ بَيْنَهُمْ فِي الْإِيمَانِ وَلَا تَبْعِيضٍ؛ فَمَنْ آمَنَ بِبَعْضِ الرُّسُلِ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ فَهُوَ كَافِرٌ(١).

وَقَالَ قَتَادَةُ: «أَمَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا وَيُصَدِّقُوا بِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ كُلِّهِمْ، وَلَا يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ»(٢).

وَأَمَّا الْإِيمَانُ الْمُفَصَّلُ، وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي يَكُونُ تَبَعًا لِلْعِلْمِ التَّفْصِيلِيِّ الَّذِي يَبْلُغُ الْمُكَلَّفَ مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَهُوَ يَتَضَمَّنُ أُمُورًا:

*** الْإِيمَانُ بِمَنْ سَمَّىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ رُسُلِهِ؛** كَإِبْرَاهِيمَ وَنُوحٍ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الَّذِينَ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي الْقُرْآنِ.

*** وَيَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا جَمِيعَ مَا أُرْسِلُوا بِهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ(٣).**

*** وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ رِسَالَتَهُمْ حَقٌّ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ.**

---

(١) انظر: «**مجموع الفتاوىٰ**»: (١٢/ ١١).

(٢) أخرجه الطبري في «**جامع البيان**»: (١/ ٥٦٨)، واللفظ له، وابن أبي حاتم في «**التفسير**»: (١/ ٢٤٣ - ٢٤٤، رقم ١٣٠٤ و ١٣٠٥)، بإسناد صحيح.

(٣) «**شرح الطحاوية**»: (٢/ ٤٢٣).

*** وَالْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ يَكُونُ بِالْإِقْرَارِ بِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ،** وَهُوَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِغَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ: «فَأَنْ تُؤْمِنَ بِمَنْ سَمَّىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ مِنْ رُسُلِهِ، وَتُؤْمِنُ بِأَنَّ للهِ سِوَاهُمْ رُسُلًا وَأَنْبِيَاءَ لَا يَعْلَمُ أَسْمَاءَهُمْ إِلَّا الَّذِي أَرْسَلَهُمْ، وَتُؤْمِنُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَإِيمَانُكَ بِهِ غَيْرُ إِيمَانِكَ بِسَائِرِ الرُّسُلِ، إِيمَانُكَ بِسَائِرِ الرُّسُلِ إِقْرَارُكَ بِهِمْ، وَإِيمَانُكَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِقْرَارُكَ بِهِ، وَتَصْدِيقُكَ إِيَّاهُ، وَاتِّبَاعُكَ مَا جَاءَ بِهِ، فَإِذَا اتَّبَعْتَ مَا جَاءَ بِهِ، وَأَدَّيْتَ الْفَرَائِضَ، وَأَحْلَلْتَ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتَ الْحَرَامَ، وَوَقَفْتَ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ، وَسَارَعْتَ فِي الْخَيْرَاتِ»(١).

الْإِيمَانُ بالرُّسُل تَفْصِيلًا عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ، لَوْ أَنَّنَا نَظَرْنَا فِي إِيمَانِنَا بِنَبِيِّنَا ﷺ، وَمَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ لَوَجَدْنَا تَقْصِيرًا عَظِيمًا يَشْمَلُنَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَقَدِيَّةِ الْخَطِيرَةِ؛ لِأَنَّ إِيمَانَكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، يَعْنِي إِقْرَارَكَ بِهِ، وَتَصْدِيقَكَ إِيَّاهُ، وَاتِّبَاعَكَ مَا جَاءَ بِهِ، فَإِذَا اتَّبَعْتَ مَا جَاءَ بِهِ أَدَّيْتَ الْفَرَائِضَ، وَأَحْلَلْتَ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتَ الْحَرَامَ، وَوَقَفْتَ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ، وَسَارَعْتَ فِي الْخَيْرَاتِ.

وَالنَّاسُ مُتَفَاوِتُونَ فِي الْإِيمَانِ الْمُفَصَّلِ بِحَسَبِ مَا بَلَغَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ، فَمَنْ آمَنَ بِالرُّسُلِ إِيمَانًا مُجْمَلًا، وَآمَنَ بِمَا بَلَغَهُ مِنَ التَّفَاصِيلِ حَصَلَ لَهُ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ بِحَسَبِ مَا بَلَغَهُ؛ فَمَنْ آمَنَ بِالرُّسُلِ إِيمَانًا مُفَصَّلًا، كَانَ أَجْمَلَ إِيمَانًا مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، وَكَذَلِكَ وِلَايَةُ اللهِ تَتَفَاضَلُ؛ فَمَنْ عَلِمَ التَّفَاصِيلَ كَانَتْ وِلَايَتُهُ أَكْمَلَ مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ.

---

(١) «تعظيم قدر الصلاة»: (ص ٣٩٣).

وَعَلَيْنَا أَنْ نَجْتَهِدَ عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ أَنْ نَحْرِصَ عَلَىٰ تَحْصِيلَ النَّاسِ -وخَاصَّةً الْعَوَامَّ- عَلَىٰ تَحْصِيلِهِمُ الْإِيمَانَ الْمُجْمَلَ؛ لِأَن هَؤُلَاءِ لَهُمْ أَحْوَالُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ، وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ لَا يتفَرَّغُونَ لِسَمَاعِ الْعِلْمِ وَلَا طَلَبِهِ.

وَإِذَنْ؛ فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَدَاءُ الْأَمَانَةِ تَبْلِيغُ هَؤُلَاءِ مَا يَصِحُّ بِهِ إِيمَانُهُمْ؛ حَتَّىٰ لَا يَتَورَّطُوا فِي نَقْصِ أَرْكَانِ الْإِيْمَانِ أَوْ فِي عَدَمِهَا.

وَهَذِهِ أُمُورٌ يَنْبَغِي أَنْ تُرَاعَىٰ حَالَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

الْإِيمَانُ التَّفْصِيلِيُّ لِهَذِهِ الْأَرْكَانِ شَيْءٌ فَوْقَ الْإِيمَانِ الْمُجْمَلِ، وَلَيْسَ كُلُّ الْمُسْلِمِينَ يَتَّسِعُ وَقْتُهُ، وَلَا حَالُهُ، وَلَا قُدْرَتُهُ وَعَقْلُهُ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ الْمُفَصَّلِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُعْطِيَهُ مَا يُنَجِّيهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ، بِعَقْدِ الْإِيمَانِ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمُورِ عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِيمَانِ الْمُجْمَلِ، وَنُرَغِّبُهُ فِي مَعْرِفَةِ التَّفَاصِيلِ، حَتَّىٰ يَتَحَصَّلَ بَعْدُ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لَهُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ الْمُفَصَّلِ.

وَهَذا تَرْتِيبٌ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ حَسَبِ حَالِ الْمَدْعُوِّينَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ دَلَّنَا عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ، وَهُوَ أَنْ نُرَاعِيَ حَالَ الْمَدْعُوِّينَ فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**»(١): فَدَلَّهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ دَعْوَةَ هَؤُلَاءِ وَمُجَادَلَتَهُمْ لَا تَكُونُ كَدَعْوَةِ الْوَثَنِيِّينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَعِنْدَهُمْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الزَّكَاةِ: بَابُ لَا تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ، (٣/ ٣٢٢، رقم ١٤٥٨) و (١٣/ ٣٤٧، رقم ٧٣٧٢)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانَ: بَابُ الدُّعَاءِ إِلَىٰ الشَّهَادَتَيْنِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، (١/ ٥١، رقم ١٩)، وَاللَّفْظُ لَهُ، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

عَلَىٰ حَسَبِ كُتُبِهِمُ الَّتِي أَوْحَاهَا اللهُ إِلَىٰ رُسُلِهِمْ، وَعَلَيْهِ فَمُجَادَلَتُهُمْ وَدَعْوَتُهُمْ سَتَأْخُذُ شَكْلًا جَدِيدًا، سِوَىٰ مَا كَانَ فِي دَعْوَةِ وَمُجَادَلَةِ الْمُشْرِكِينَ الْوَثَنِيِّينَ.

فَهَذَا أَصْلٌ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَيَنْبَغِي أَنْ نُرَاعِيَهُ؛ نَظَرًا لِحَالِ الْأُمَّةِ، وَمَا أَحَاطَ بِهِ الْجَهْلُ مِنْ أَبْنَائِهَا، حَتَّىٰ يَسْتَنْقِذَ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا تَوَرَّطُوا فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالزَّيْغِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَىٰ.

*** وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ يَكُونُ بِالِاعْتِقَادِ، وَالْقَوْلِ، وَالْعَمَلِ:**

أَمَّا بِالِاعْتِقَادِ: يَكُونُ بِالْإِقْرَارِ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ أُرْسِلُوا مِنْ عِنْدِ اللهِ، وأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ شَيْءٌ، مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّهُمْ بَلَّغُوا مَا أُرْسِلُوا بِهِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالِاعْتِقَادِ.

وَأَمَّا بِالْقَوْلِ: فَيَكُونُ بِالْإِقْرَارِ بِهِ وَالنُّطْقِ بِمَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ ذِكْرِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا بِالْعَمَلِ: فَيَكُونُ بِالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَحْدَهُ؛ لِأَنَّهُ ﷺ نَسَخَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ قَبْلَهُ، وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ قَبْلَهُ التَّبْدِيلُ وَالتَّحْرِيفُ، وَهَذَا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ بِشَأْنِ رُسُلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَبِشَأْنِ خَاتَمِهِمْ ﷺ.

أَمَّا أَهْلُ الْكَلَامِ فَيَحْصُرُونَ مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ فِي التَّصْدِيقِ؛ فَالْإِيْمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ هُوَ مُجَرَّدُ التَّصْدِيقِ بِهِ.

وَقَوْلُهُمْ هَذَا مُخَالِفٌ لِدَلَالَةِ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمُخَالِفٌ -أَيْضًا- لِإِجْمَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

* **تَعْرِيفُ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ:**

الرَّاجِحُ فِي تَعْرِيفِ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ هُوَ مَا قَالَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «النُّبُوَّاتِ»(١): «إِنَّ الرَّسُولَ وَالنَّبِيَّ كِلَاهُمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، وَأُمِرَ بِالتَّبْلِيغِ، فَإِنْ كَانَ الْمُرْسَلُ إِلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ، فَهُوَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، كَنُوحٍ، وَلُوطٌ، وَهُودٌ، وَصَالِحٌ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ مُرْسَلًا إِلَىٰ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ فَهُوَ نَبِيٌّ كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَيْثُ كَانَتْ شَرِيعَتُهُمْ كُلُّهَا التَّوْرَاةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

فَكُلٌّ مِنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، لَكِنَّ النَّبِيَّ قَدْ يُبْعَثُ فِي قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ بِشَرَائِعَ سَابِقَةٍ كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَأْمُرُونَ بِشَرِيعَةِ التَّوْرَاةِ، وَقَدْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَحَدِهِمْ وَحْيٌ خَاصٌّ فِي قَضِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَأَمَّا الرُّسُلُ فَإِنَّهُمْ يُبْعَثُونَ فِي قَوْمٍ كُفَّارٍ يَدْعُونَهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ، فَهُمْ يُرْسَلُونَ إِلَىٰ مُخَالِفِينَ فَيُكَذِّبُهُمْ بَعْضُهُمْ.

مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ:

وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ هُوَ:

* التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللهَ بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْكُفْرِ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ**﴾ [النحل:٣٦].

* وَأَنْ يَعْتَقِدَ الْمَرْءُ اعْتِقَادًا جَازِمًا أَنَّ جَمِيعَهُمْ صَادِقُونَ بَارُّونَ رَاشِدُونَ كِرَامٌ بَرَرَةٌ أَتْقِيَاءُ أُمَنَاءُ هُدَاةٌ مُهْتَدُونَ، وَبِالْبَرَاهِينَ الظَّاهِرَةِ وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ مُؤَيَّدُونَ.

---

(١) «**النُّبُوَّات**»: (٢/ ٧١٤ - ٦١٦)، بتصرف واختصار.

* وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا جَمِيعَ مَا أَرْسَلَهُمُ اللهُ بِهِ لَمْ يَكْتُمُوا مِنْهُ حَرْفًا، وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، وَلَمْ يَزِيدُوا فِيهِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ حَرْفًا، وَلَمْ يَنْقُصُوهُ.

* وَأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَالْهُدَىٰ الْمُسْتَبِينِ(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [النحل:٨٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور:٥٤].

فَيَجِبُ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِمَنْ سَمَّىٰ اللهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ مِنْ رُسُلِهِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَرْسَلَ رُسُلًا سِوَاهُمْ، لَا يَعْلَمُ أَسْمَاءَهُمْ وَعَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ الَّذِي أَرْسَلَهُمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۖ﴾ [غافر:٧٨](٢).

فَيَجِبُ عَلَيْنَا عَدَمُ التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمْ، ذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ بِرُسُلِ اللهِ ﷻ مُتَلَازِمٌ، مَنْ كَفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ وَبِجَمِيعِ الرُّسُلِ عليهم السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥].

---

(١) «معارج القبول»: (٢/ ٦٧٧).

(٢) «العقيدة الطحاوية» مع «الشرح»: (٢/ ٤٢٣).

وَيَجِبُ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِرُسُلِ اللهِ جَمِيعًا؛ تَفْصِيلًا فِيمَا فَصَّلَ، وَإِجْمَالًا فِيمَا أَجْمَلَ.

وَهَؤُلَاءِ الرُّسُلُ هُدَاةٌ مُهْتَدُونَ هَدَاهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- إِلَىٰ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَوَفَّقَهُمْ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَقَدْ هَدَاهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- هِدَايَةَ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ وَالتَّثْبِيتِ، وَهُمْ بِذَلِكَ مُهْتَدُونَ لِلْحَقِّ.

يَهْدُونَ النَّاسَ هِدَايَةَ الدَّعْوَةِ وَالدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ إِلَىٰ السَّبِيلِ وَالْهُدَىٰ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [الرعد:٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورىٰ:٥٢].

أَمَّا هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ وَالتَّثْبِيتِ فَلَيْسَتْ إِلَّا بِيَدِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَحْدَهُ، وَهُوَ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ وَمُصَرِّفُ الْأُمُورِ، لَيْسَ لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا لِنَبِيٍّ مُرْسَلٍ التَّصَرُّفُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، فَضْلًا عَمَّا دُونَهَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢]: يُرِيدُ هِدَايَةَ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ وَالتَّثْبِيتِ، يُرِيدُ هِدَايَةَ الْقُلُوبِ، فَهَذِهِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ سِوَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القصص:٥٦].

وَأَمَّا هِدَايَةُ الدَّعْوَةِ وَالدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ فَقَدْ ذَكَرَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورىٰ:٥٢] أَيْ: تَدُلُّ عَلَيْهِ وَتَدْعُو إِلَيْهِ وَتُرْشِدُ الْخَلْقَ إِلَىٰ سُلُوكِهِ.

*** تَأْيِيدُ اللهِ رُسُلَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ:**

لَقَدْ أَيَّدَ اللهُ -تَعَالَىٰ- رُسُلَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ الْخَارِقَةِ لِعَادَاتِ الْبَشَرِ، وَالَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ فِيمَا يُخْبِرُونَ النَّاسَ بِهِ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا خَائِنِينَ، ولَا كَاذِبِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر:٧٨].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «الْمُعْجِزَةُ تَعُمُّ كُلَّ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ فِي اللُّغَةِ، وَفِي عُرْفِ الْأَئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ يُسَمُّونَهَا الْآيَاتِ، لَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ يُفَرِّقُونَ فِي اللَّفْظِ بَيْنَهُمَا؛ فَيَجْعَلُ الْمُعْجِزَةَ لِلنَّبِيِّ، وَالْكَرَامَةِ لِلْوَلِيِّ، وَيَجْمَعُهُمَا الْأَمْرُ الْخَارِقُ لِلْعَادَةِ»(١).

وَقَدْ أَيَّدَ اللهُ -تَعَالَىٰ- نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَكَانَ أَعْظَمُ هَذِهِ الْمُعْجِزَاتِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، الَّذِي تَحَدَّىٰ بِهِ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْكُفَّارَ بِأَنْ يَأْتُوا وَلَوْ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٣-٢٥].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: (١١/ ٣١١).

فَتَحَدَّىٰ اللهُ ﷻ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، أَوْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِنْ مِثْلِهِ، أَوْ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مُنْذُ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ إِلَىٰ عَصْرِنَا هَذَا وَإِلَىٰ الْأَبَدِ أَنْ يَأْتِيَ بِكِتَابٍ مِثْلِهِ أَوْ بِمِثْلِ سُورَةٍ مِنْهُ، عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ الْأَعْدَاءِ الْكَثِيرِينَ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِدِينِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ الْعُصُورِ، لَكِنَّهُمْ وَقَفُوا عَاجِزِينَ أَمَامَ هَذِهِ الْآيَةِ الْبَاهِرَةِ الْخَالِدَةِ عَلَىٰ مَرِّ الْعُصُورِ.

وَمِنْ مُعْجِزَاتِ مُوسَىٰ عليه السلام: أَنَّهُ كَانَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ فَتَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، وَيُلْقِي عَصَاهُ عَلَىٰ الْأَرْضِ فَتَتَحَوَّلُ إِلَىٰ حَيَّةٍ تَأْكُلُ كُلَّ مَا صَنَعَهُ السَّحَرَةُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه:١٧-٢٣].

وَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي فَضَّلَ اللهُ بِهَا عِيسَىٰ عليه السلام، فَذَكَرَ مِنْهَا أَنَّهُ يَشْفِي مِنْ بَعْضِ الْأَمْرَاضِ، وَيُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران:٤٩].

فَهَذِهِ الْآيَةُ تُبَيِّنُ لَنَا بَعْضَ آيَاتِ عِيسَىٰ عليه السلام وَالَّتِي مِنْهَا أَنَّهُ يَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَيَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ، وَيُبْرِئُ الْأَكْمَهَ؛ وَهُوَ الَّذِي يُولَدُ أَعْمَىٰ

عَلَىٰ أَصَحِّ الْأَقْوَالِ، وَالْأَبْرَصُ: وَالْبَرَصُ مَرَضٌ يُصِيبُ الْجِلْدَ، فَيَتَغَيَّرُ اللَّوْنُ.

وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ، وأَنَّهُ يُخْبِرُ النَّاسَ بِمَا يَأْكُلُونَ وَمَا يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمُعْجِزَاتِ تَكُونُ بِأَمْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ- الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ. فَيَكُونُ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بَعَثَ اللهُ كُلَّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا يُنَاسِبُ أَهْلَ زَمَانِهِ، فَكَانَ الْغَالِبُ عَلَىٰ زَمَانِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ السِّحْرُ وَتَعْظِيمُ السَّحَرَةِ، فَبَعَثَهُ اللهُ بِمُعْجِزَةٍ بَهَرَتِ الْأَبْصَارَ، وَحَيَّرَتْ كُلَّ سَحَّارٍ، فَلَمَّا اسْتَيْقَنُوا أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ انْقَادُوا لِلْإِسْلَامِ، وَصَارُوا مِنْ عِبَادِ اللهِ الْأَبْرَارِ.

وَأَمَّا عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبُعِثَ فِي زَمَنِ الْأَطِبَّاءِ، وَأَصْحَابِ عِلْمِ الطَّبِيعَةِ، فَجَاءَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ بِمَا لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُؤَيَّدًا مِنَ الَّذِي شَرَعَ الشَّرِيعَةَ، فَمِنْ أَيْنَ لِلطَّبِيبِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْجَمَادِ، أَوْ عَلَىٰ مُدَاوَاةِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، وَبَعْثِ مَنْ هُوَ فِي قَبْرِهِ رَهِينٌ إِلَىٰ يَوْمِ التَّنَادِ.

وَكَذَلِكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ فِي زَمَانِ الْبُلَغَاءِ وَالْفُصَحَاءِ وَنَحَارِيرِ[1] الشُّعَرَاءِ، فَأَتَاهُمْ بِكِتَابٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، أَوْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ، أَوْ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا،

---

(١) **نَحَارِير**: جَمْعُ النِّحْرير، وَهُوَ: الْحَاذِقُ الْمَاهِرُ الْعَاقِلُ المجرِّب، وَقِيلَ: النِّحريرُ الرَّجُلُ الطَّبِنُ الفطِن المُتْقِن البصِير فِي كُلِّ شَيْءٍ.

انظر: «**لسان العرب**»: (٥/ ١٩٧)، مادة: (نحر).

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ ﷻ، لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْخَلْقِ أَبَدًا»(١).

وَهَذَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ فِي آخِرِ كَلَامِهِ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ ذَهَبُوا يَبْحَثُونَ عَنْ ظَوَاهِرِ وَمَظَاهِرِ الْإِعْجَازِ فِي الْكِتَابِ الْمَجِيدِ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ الظَّاهِرِ، وَهُوَ أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ، هَذَا أَعْجَزُ الْإِعْجَازِ فِيهِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُعَارِضَ الْقُرْآنَ فَهَلْ يَقُولُ: إِنَّهُ خَلَقَ؟ هَلْ يَقُولُ: إِنَّهُ رَفَعَ السَّمَوَاتِ؟ هَلْ يَقُولُ: إِنَّهُ دَحَىٰ(٢) الْأَرْضَ؟ هَلْ يَقُولُ: إِنَّهُ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؟ هَلْ يَقُولُ: إِنَّهُ نَوَّعَ فِي صُنُوفِ الْمَخْلُوقَاتِ؟ هَلْ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؟

لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ بِحَالٍ فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ الْمُعَارَضَةَ، فَإِنَّمَا هُوَ عَبْدٌ ذَلِيلٌ حَقِيرٌ لَا يَمْلِكُ أَمْرَ نَفْسِهِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَمْلِكَ أَمْرَ الْعَالَمِ، أَوْ يَمْلِكَ أَمْرَ غَيْرِهِ.

وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَإِنَّهُ يَتَكَلَّمُ فِي الْقُرْآنِ بِمَا هُوَ مِنْ صِفَاتِهِ، وَبِمَا هُوَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ حَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ، وَحَقِّ الْأُلُوهِيَّةِ، فَكَيْفَ يُعَارِضُ كَلَامَهُ جَلَّ وَعَلَا؟ وَكَيْفَ لَا يُقَالُ أَنَّ أَعْجَزَ الْإِعْجَازِ فِيهِ أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ؟

فَإِذَا نَظَرْنَا فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَأَيْنَا السُّلْطَانَ الْقَاهِرَ وَالْعِزَّ الْبَاهِرَ وَالْقُدْرَةَ الطَّلِيقَةَ، وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَلَامَ مَنْ خَلَقَ، وَكَلَامَ مَنْ يُحْيِي، وَمَنْ يُمِيتُ، وَكَلَامَ مَنْ يَمْلِكُ وَيَرْزُقُ، وَيُدَبِّرُ الْأَمْرَ.

---

(١) «**تفسير القرآن العظيم**»: (٢/ ٤٥).

(٢) «**دَحَا**»، أَي: بَسَطَ وَوَسَّعَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات:٣٠].
انظر: «**لسان العرب**»: (١٤/ ٢٥١)، مادة: (دحا).

فَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُعَارِضَ بِأَيِّ شَيْءٍ يُعَارِضُ؟ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا مَا اسْتَطَاعُوا بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ، فَسُبْحَانَ مَنْ هَذَا كَلَامُهُ!

*** دَعْوَةُ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ إِلَى التَّوْحِيدِ:**

لَقَدِ اتَّفَقَ الرُّسُلُ جَمِيعًا فِي أَصْلِ دَعْوَتِهِمْ، وَهُوَ الدَّعْوَةُ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء:٢٥-٢٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

فَالرُّسُلُ جَمِيعًا إِنَّمَا بَعَثَهُمُ اللهُ لِتَحْقِيقِ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ تَوْحِيدُ اللهِ تَعَالَىٰ بِإِلَهِيَّتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنَفْيُ مَا يُضَادُّ ذَلِكَ، أَوْ يُنَافِي كَمَالَهُ.

فَمَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا وَكَانَتْ هَذِهِ دَعْوَتَهُ لِلنَّاسِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْخُذَ بِهِ الدَّاعِي إِلَىٰ اللهِ، فَأَوَّلُ الْأَمْرِ وَعُظْمُهُ وَأَسَاسُهُ وَأُسُّهُ الدَّعْوَةُ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

لَمْ يَبْدَأِ الْمُرْسَلُونَ أَقْوَامَهُمْ بِشَيْءٍ قَبْلَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَدَلَّنَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ تَرْتِيبِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا، فَقَالَ لِمُعَاذٍ رضي الله عنه: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ**

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ...**»[1]. وَذَكَرَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالزَّكَاةِ إِلَىٰ آخِرِ الْحَدِيثِ.

فَأَمَرَهُ أَنْ يَبْدَأَ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: هَؤُلَاءِ لَيْسُوا بِمُسْلِمِينَ، وَالدَّعْوَةُ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ هَكَذَا مُقَدَّمَةً عِنْدَ دَعْوَتِهِمْ إِلَىٰ دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، الْمُسْلِمُونَ -أَيْضًا- يَحْتَاجُونَ إِلَى الدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ؛ نَظَرًا لِمَا يَقَعُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِمَّا يُنَافِي التَّوْحِيدَ، أَوْ يُضَادُّ كَمَالَهُ وَيَنْقُصُ مِنْهُ.

عَلَيْنَا أَنْ نَجْتَهِدَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَأَنْ نَبْدَأَ بِهَذَا الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْأُصُولِ.

وَالتَّوْحِيدُ أَعْظَمُ مَا عُبِدَ بِهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَهُوَ أَكْبَرُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا أَنَّ الْكُفْرَ وَالشِّرْكَ أَكْبَرُ السَّيِّئَاتِ وَالزَّلَّاتِ.

فَعَلَىٰ الدَّاعِي إِلَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا أَنْ يَبْدَأَ فِي دَعْوَتِهِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَذَا الْأَصْلِ الْكَبِيرِ، وَفِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَمَا أَشْبَهَ.

أَمَّا فُرُوعُ الشَّرَائِعِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي؛ فَإِنَّهَا تَخْتَلِفُ مِنْ رَسُولٍ لِآخَرَ؛ فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَنْسَخُ بَعْضَ الشَّرَائِعِ بِبَعْضٍ، وَيَفْرِضُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ مَا لَا يَفْرِضُهُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ، وَيُخَفِّفُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ مَا شُدِّدَ عَلَىٰ أُولَئِكَ، وَيُحَرِّمُ عَلَىٰ أُمَّةٍ مَا يُحِلُّ لِأُخْرَىٰ، وَبِالْعَكْسِ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، وَغَايَةٍ مَحْمُودَةٍ قَضَاهَا اللهُ ﷻ.

---

(١) تقدم تخريجه في الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

*** الشَّرِيعَةُ الْخَاتِمَةُ وَالنَّبِيُّ الْخَاتَمُ إِلَى عُمُومِ الْخَلْقِ:**

إِنَّ شَرِيعَةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ هِيَ الشَّرِيعَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي لَمْ تُنْسَخْ بِسِوَاهَا مِنَ الشَّرَائِعِ، وَلَنْ تُنْسَخَ أَبَدًا مَا بَقِيَ وَاسْتَقَرَّ عَلَىٰ الْأَرْضِ جَبَلُ أُحُدٍ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ بَقَاءِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ إِلَىٰ الْأَبَدِ، ذَلِكَ أَنَّهَا خَاتِمَةُ الشَّرَائِعِ، وَأَنَّهَا كَامِلَةٌ شَامِلَةٌ لِكُلِّ مَا يُصْلِحُ الْبَشَرَ، وَيُصْلِحُ حَيَاتَهُمْ، وَيَصْلُحُ لَهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَهِيَ خَاتِمَةُ الرِّسَالَاتِ، وَهِيَ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَكُلُّ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ بَعْدَهُ فَهُوَ ضَعِيفُ الْعَقْلِ، كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ وَرَأْيِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

الرَّسُولُ ﷺ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ.

فَكُلُّ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ بَعْدَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ فِيمَا يَدَّعِي، كَمَا بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ لَوْنٍ مِنَ الِاخْتِلَالِ فِي دَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِهِ: «**سَيَكُونُ مِنْ أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْفِتَنِ: بَابُ ذِكْرِ الْفِتَنِ..، (٤/ ٩٧ – ٩٨، رقم ٤٢٥٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ الْفِتَنِ: بَابُ مَا جَاءَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ

وَبِعْثَتُهُ ﷺ عَامَّةٌ لِلْخَلْقِ جَمِيعًا مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، شَامِلَةٌ لِكُلِّ شُؤُونِ الْحَيَاةِ، وَالدَّلِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨].

شَرِيعَةُ النَّبِيِّ ﷺ كَامِلَةٌ وَافِيَةٌ بِحَاجَةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي جَمِيعِ شُؤُونِ الْحَيَاةِ الدِّينِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالِاقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ إِلَىٰ آخِرِهِ.

فَلَمْ تَتْرُكْ شَأْنًا مِنْ شُئُونِ الْحَيَاةِ إِلَّا وَضَّحَتْهُ وَبَيَّنَتْهُ لِلنَّاسِ بِمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيَصْلُحُ لَهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَقَدْ أَكْمَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ بِهَا الشَّرَائِعَ وَالنِّعْمَةَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣].

وَلِمَا تَتَمَيَّزُ بِهِ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ مِنَ الشُّمُولِ وَالْكَمَالِ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ تَجَاوُزُهَا أَوِ الْخُرُوجُ عَنْ أَحْكَامِهَا بَحْثًا عَنِ الْأَفْضَلِ؛ لِأَنَّ الْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ فِي اتِّبَاعِهَا.

=

كَذَّابُونَ، (٤/ ٤٩٩، رقم ٢٢١٩)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْفِتَنِ: بَابُ مَا يَكُونُ مِنَ الْفِتَنِ، (٢/ ١٣٠٤، رقم ٣٩٥٢)، مِنْ حَدِيثِ: ثَوْبَانَ رضي الله عنه.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وَكَذَا صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ**»: (٣/ ٩ - ١٠، رقم ٤٢٥٢).

وَالْحَدِيثُ أَصْلُهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْفِتَنِ: بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، (٤/ ٢٢١٥، رقم ٢٨٨٩).

وَعَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ وَيَتَّبِعُوهَا، وَمَنْ تَجَاوَزَهَا وَخَرَجَ عَنْهَا فَهُوَ كَافِرٌ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَا يُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الثَّقَلَيْنِ أَيِ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ فِي عُمُومِ الزَّمَانِ وَعُمُومِ الْمَكَانِ أَيْ بَعْدَ بَعْثَتِهِ ﷺ هُمْ أُمَّتُهُ، أَيْ: أُمَّةُ الدَّعْوَةِ، فَقَدْ أَرْسَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَإِلَىٰ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، مُنْذُ بُعِثَ ﷺ إِلَىٰ أَنْ يُقِيمَ اللهُ السَّاعَةَ، فَلَا يَسْمَعُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ -يَعْنِي: مِنْ أُمَّةِ الدَّعْوَةِ-، كُلُّ مَدْعُوُّونَ بِدَعْوَتِهِ إِلَىٰ الدُّخُولِ فِي دِينِهِ، وإِحْقَاقِ الْحَقِّ الَّذِي بُعِثَ بِهِ.

هَذِهِ الشَّرِيعَةُ الْكَامِلَةُ الشَّامِلَةُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ حُدُودِ أَحْكَامِهَا وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا وَأَوَامِرِهَا وَنَوَاهِيهَا، بَلْ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَنْفُسَهُمُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِشَرَائِعَ مُمَاثِلَةٍ، لَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَقَصَدُوا هَذِهِ الشَّرِيعَةَ، وَآمَنُوا بِهَا، وَاتَّبَعُوهَا، كَمَا سَيَحْدُثُ ذَلِكَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، عِنْدَ نُزُولِ عِيسَىٰ عليه السلام، فَإِنَّهُ سَوْفَ يَتَّبِعُ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ، حَيْثُ يَنْزِلُ حَكَمًا بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَأْتِي بِشَرِيعَةٍ جَدِيدَةٍ؛

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ..، (١/ ١٣٤، رقم ١٥٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

إِذْ لَمْ تَتْرُكْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ شَيْئًا جَدِيدًا يَحْتَاجُ لِلْبَيَانِ وَالْإِيضَاحِ(١).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ كَانَ مُوسىٰ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**» ﷺ(٢). (*).

❀❀❀

(١) «**شرح الجوهرة الفريدة**»: (ص ١٥٨ - ١٦٨)، بتصرف واختصار يسير وتعليقات.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (٥/ ٣١٢ - ٣١٣، رقم ٢٦٤٢١)، وأحمد في «**المسند**»: (٣/ ٣٣٨، رقم ١٤٦٣١)، وأبو يعلىٰ في «**المسند**»: (٤/ ١٠٢، رقم ٢١٣٥)، والدارمي في «**المسند**»: (١/ ٤٠٣، رقم ٤٤٩)، والبزار كما في «**الزوائد**»: (١/ ٧٨ - ٧٩، رقم ١٢٤)، وابن أبي عاصم في «**السنة**»: (١/ ٢٧، رقم ٥٠)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ:

أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَىٰ النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ، وَقَالَ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَىٰ كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**».

والحديث حسنه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٦/ ٣٤، رقم ١٥٨٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» (مُحَاضَرَة: ١١: بَاب: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ عليهم السلام)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٧هـ| ٣١-٨-٢٠١٦م.

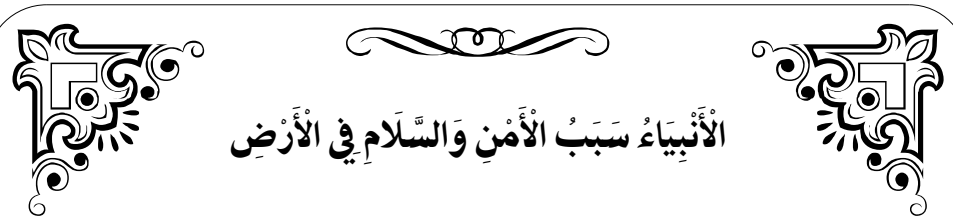

الْأَنْبِيَاءُ سَبَبُ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ فِي الْأَرْضِ

لَقَدْ دَلَّنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ عَلَى طَرِيقِ السَّلَامِ الْأَعْظَمِ وَسَبِيلِ الْأَمَانِ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢].

«﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ﴾ أَيْ: تَنَزَّهَ وَتَعَالَىٰ ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ أَيِ: الَّذِي عَزَّ فَقَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَاعْتَزَّ عَنْ كُلِّ سُوءٍ يَصِفُونَهُ بِهِ.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾: لِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآفَاتِ، وَسَلَامَةِ مَا وَصَفُوا بِهِ فَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾: الْأَلِفُ وَاللَّامُ لِلِاسْتِغْرَاقِ؛ فَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْحَمْدِ مِنَ الصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي رَبَّىٰ بِهَا الْعَالَمِينَ، وَأَدَرَّ عَلَيْهِمْ فِيهَا النِّعَمَ، وَصَرَفَ عَنْهُمْ بِهَا النِّقَمَ، وَدَبَّرَهُمْ -تَعَالَىٰ- فِي حَرَكَاتِهِمْ وَسُكُونِهِمْ وَفِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، كُلِّهَا لِلَّهِ -تَعَالَىٰ-، فَهُوَ الْمُقَدَّسُ عَنِ النَّقْصِ، الْمَحْمُودُ بِكُلِّ كَمَالٍ، الْمَحْبُوبُ الْمُعَظَّمُ.

وَرُسُلُهُ سَالِمُونَ مُسَلَّمٌ عَلَيْهِمْ، وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ فِي ذَلِكَ لَهُ السَّلَامَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَعْدَاؤُهُ لَهُمُ الْهَلَاكُ وَالْعَطَبُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»(١).

وَوَعَدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى -**وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- **الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ بِالْأَمْنِ وَالسَّلَامِ وَالْهِدَايَةِ دُنْيَا وَآخِرَةً، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾** [الأنعام:٨٢].

«**﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾** أَيْ: يَخْلِطُوا **﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾**: الْأَمْنُ مِنَ الْمَخَاوِفِ وَالْعَذَابِ وَالشَّقَاءِ، وَالْهِدَايَةُ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَإِنْ كَانُوا لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ مُطْلَقًا؛ لَا بِشِرْكٍ، وَلَا بِمَعَاصٍ؛ حَصَلَ لَهُمُ الْأَمْنُ التَّامُّ، وَالْهِدَايَةُ التَّامَّةُ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِالشِّرْكِ وَحْدَهُ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ؛ حَصَلَ لَهُمْ أَصْلُ الْهِدَايَةِ، وَأَصْلُ الْأَمْنِ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ كَمَالُهَا.

وَمَفْهُومُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمُ الْأَمْرَانِ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ هِدَايَةٌ، وَلَا أَمْنٌ، بَلْ حَظُّهُمُ الضَّلَالُ وَالشَّقَاءُ»(٢).

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٨٣٣).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٢٩٣).

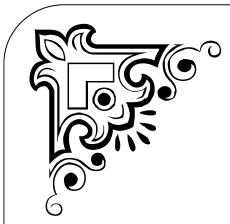

الْإِسْلَامُ دِينُ السَّلَامِ

عِبَادَ اللهِ! النَّبِيُّ ﷺ بُعِثَ بِدِينِ السَّلَامِ.. بِدِينِ الرَّحْمَةِ!

بِالدِّينِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُؤَلِّفُ وَيُجَمِّعُ، وَلَا يُنَفِّرُ وَلَا يُفَرِّقُ، هُوَ دِينُ الْحَقِّ دِينُ اللهِ![*].

*** السَّلَامُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى:**

«**إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَى-**»[٢][*/٢]، **قَالَ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

«هُوَ اللهُ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، الْمُتَصَرِّفُ فِيهَا بِلَا مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافَعَةٍ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، الَّذِي سَلِمَ مِنْ كُلِّ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَحْدَاثُ الْبُطْرُسِيَّةِ» - ١٧ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٨هـ| ١٦-١٢-٢٠١٦م.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٩)، والبزار (١٠٩٩)، والطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٤) (١٦٠٧).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٤٠٠٣).

عَيْبٍ، الْمُصَدِّقُ رُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ بِمَا تُرْسِلُهُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، الرَّقِيبُ عَلَىٰ كُلِّ خَلْقِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ، الْجَبَّارُ الَّذِي قَهَرَ جَمِيعَ الْعِبَادِ، وَأَذْعَنَ لَهُ سَائِرُ الْخَلْقِ، الْمُتَكَبِّرُ الَّذِي لَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَالْعَظَمَةُ، تَنَزَّهَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْ كُلِّ مَا يُشْرِكُونَهُ بِهِ فِي عِبَادَتِهِ»(١).

«وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**»(٢).

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ فِي «مُعْجَمِ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ»(٣): «اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- هُوَ السَّلَامُ؛ لِسَلَامَتِهِ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ وَالْفَنَاءِ».

وَمِثْلُهُ لِابْنِ مَنْظُورٍ فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ»(٤): «وَالسَّلَامُ اللهُ ﷻ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ؛ لِسَلَامَتِهِ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ وَالْفَنَاءِ؛ حَكَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ سَلِمَ مِمَّا يَلْحَقُ الْغَيْرَ مِنْ آفَاتِ الْغِيَرِ وَالْفَنَاءِ، وَأَنَّهُ الْبَاقِي الدَّائِمُ الَّذِي تَفْنَىٰ الْخَلْقُ وَلَا يَفْنَىٰ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

السَّلَامُ: هُوَ السَّالِمُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَآفَةٍ وَنَقْصٍ.

---

(١) «**التفسير الميسر**» (ص٥٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩١) عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**».

(٣) «**مُعْجَمِ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ**» (٣/ ٩٠).

(٤) «**لِسَانِ الْعَرَبِ**» (١٢/ ٢٩٠).

وَمَجْمُوعُ مَا يُنَزَّهُ عَنْهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَيْئَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ مَا يُنَافِي صِفَاتِ كَمَالِهِ؛ فَإِنَّ لَهُ الْمُنْتَهَىٰ فِي كُلِّ صِفَةِ كَمَالٍ، فَهُوَ مَوْصُوفٌ بِكَمَالِ الْعِلْمِ، وَكَمَالِ الْقُدْرَةِ، مُنَزَّهٌ عَمَّا يُنَافِي ذَلِكَ مِنَ النِّسْيَانِ وَالْغَفْلَةِ، وَأَنْ يَعْزُبَ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ، وَمُنَزَّهٌ عَنِ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ وَاللُّغُوبِ، وَمَوْصُوفٌ بِكَمَالِ الْحَيَاةِ وَالْقَيُّومِيَّةِ، مُنَزَّهٌ عَنْ ضِدِّهَا مِنَ الْمَوْتِ وَالسِّنَةِ وَالنَّوْمِ، وَمَوْصُوفٌ بِالْعَدْلِ وَالْغِنَىٰ التَّامِّ، مُنَزَّهٌ عَنِ الظُّلْمِ وَالْحَاجَةِ إِلَىٰ أَحَدٍ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَمَوْصُوفٌ بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ، مُنَزَّهٌ عَمَّا يُضَادُّ ذَلِكَ مِنَ الْعَبَثِ وَالسَّفَهِ، وَأَنْ يَفْعَلَ أَوْ يَشْرَعَ مَا يُنَافِي الْحِكْمَةَ وَالرَّحْمَةَ.

وَهَكَذَا جَمِيعُ صِفَاتِهِ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ مَا يُنَافِيهَا وَيُضَادُّهَا.

الثَّانِي: أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ مُمَاثَلَةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ نِدٌّ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ؛ فَالْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ وَشَرُفَتْ وَبَلَغَتِ الْمُنْتَهَىٰ الَّذِي يَلِيقُ بِهَا مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكَمَالِ اللَّائِقِ بِهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا يُقَارِبُ أَوْ يُشَابِهُ الْبَارِيَ، بَلْ جَمِيعُ أَوْصَافِهَا تَضْمَحِلُّ إِذَا نُسِبَتْ إِلَىٰ صِفَاتِ بَارِيهَا وَخَالِقِهَا؛ بَلْ جَمِيعُ مَا فِيهَا مِنَ الْمَعَانِي وَالنُّعُوتِ وَالْكَمَالِ هُوَ الَّذِي أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ فِيهَا الْعُقُولَ، وَالسَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَالْقُوَىٰ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَهَا وَأَلْهَمَهَا، وَهُوَ الَّذِي نَمَّاهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَكَمَّلَهَا، قَالَتِ الرُّسُلُ وَالْمَلَائِكَةُ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ يَقُولُ اللهُ -تَعَالَىٰ-: «**يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ..**»(١). إِلَىٰ آخِرِ الْحَدِيثِ.

فَهُوَ الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ مَا يُنَافِي صِفَاتِ الْمَجْدِ وَالْعَظَمَةِ وَالْكَمَالِ، وَهُوَ الْمُنَزَّهُ عَنِ الضِّدِّ وَالنِّدِّ وَالْكُفْؤِ وَالْأَمْثَالِ، وَذَلِكَ دَاخِلٌ فِي اسْمِهِ (الْقُدُّوسُ السَّلَامُ).(*).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَلَمَّا كَانَ السَّلَامُ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهُوَ اسْمُ مَصْدَرٍ فِي الْأَصْلِ كَالْكَلَامِ وَالْعَطَاءِ بِمَعْنَىٰ السَّلَامَةِ؛ كَانَ الرَّبُّ -تَعَالَىٰ- أَحَقَّ بِهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ السَّالِمُ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَعَيْبٍ وَنَقْصٍ وَذَمٍّ؛ فَإِنَّ لَهُ الْكَمَالَ الْمُطْلَقَ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَكَمَالُهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا كَذَلِكَ، وَالسَّلَامُ يَتَضَمَّنُ سَلَامَةَ أَفْعَالِهِ مِنَ الْعَبَثِ وَالظُّلْمِ وَخِلَافِ الْحِكْمَةِ، وَسَلَامَةُ صِفَاتِهِ مِنْ مُشَابَهَةِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَسَلَامَةُ ذَاتِهِ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، وَسَلَامَةُ أَسْمَائِهِ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ.

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: كتاب البر والصلة: بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، (٢٥٧٧)، من طريق: سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، فيما روىٰ عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي،...**» الحديث، إلا أن فيه: «**وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**»، بدلا من «وَأَنَا الغفورُ الرحيم»، وفيه: «**أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا**»، بدلا من «أُحْصِيهَا علَيكُمْ».
وفي رواية له: «**إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَىٰ نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَىٰ عِبَادِي، فَلَا تَظَالَمُوا**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ فَتْحِ الرَّحِيمِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ)، الْخَمِيسُ ٢٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٤هـ| ١-٨-٢٠١٣م.

فَاسْمُ (السَّلَامِ) يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ جَمِيعِ الْكَمَالَاتِ لَهُ، وَسَلْبَ جَمِيعِ النَّقَائِصِ عَنْهُ، وَهَذَا مَعْنَىٰ (سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ)، وَيَتَضَمَّنُ إِفْرَادَهُ بِالْأُلُوهِيَّةِ وَإِفْرَادَهُ بِالتَّعْظِيمِ، وَهَذَا مَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ)، فَانْتَظَمَ اسْمُ (السَّلَامِ) الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ الَّتِي يُثْنَىٰ بِهَا عَلَىٰ الرَّبِّ -جَلَّ جَلَالُهُ-.

وَمِنْ بَعْضِ تَفَاصِيلِ ذَلِكَ: أَنَّهُ الْحَيُّ الَّذِي سَلِمَتْ حَيَاتُهُ مِنَ الْمَوْتِ وَالسِّنَةِ وَالنَّوْمِ وَالتَّغَيُّرِ، الْقَادِرُ الَّذِي سَلِمَتْ قُدْرَتُهُ مِنَ اللُّغُوبِ وَالتَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ وَالْعَجْزِ عَمَّا يُرِيدُ.

الْعَلِيمُ الَّذِي سَلِمَ عِلْمُهُ أَنْ يَعْزُبَ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، أَوْ يَغِيبُ عَنْهُ مَعْلُومٌ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ صِفَاتِهِ عَلَىٰ هَذَا، فَرِضَاهُ -سُبْحَانَهُ- سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهُ الْغَضَبُ، وَحِلْمُهُ سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهُ الِانْتِقَامُ، وَإِرَادَتُهُ سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهَا الْإِكْرَاهُ، وَقُدْرَتُهُ سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهَا الْعَجْزُ، وَمَشِيئَتُهُ سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهَا خِلَافُ مُقْتَضَاهَا، وَكَلَامُهُ سَلَامٌ أَنْ يَعْرِضَ لَهُ كَذِبٌ أَوْ ظُلْمٌ، بَلْ تَمَّتْ كَلِمَاتُهُ صِدْقًا وَعَدْلًا، وَوَعْدُهُ سَلَامٌ أَنْ يَلْحَقَهُ خُلْفٌ، وَهُوَ سَلَامٌ أَنْ يَكُونَ قَبْلَهُ شَيْءٌ أَوْ بَعْدَهُ شَيْءٌ، أَوْ فَوْقَهُ شَيْءٌ أَوْ دُونَهُ شَيْءٌ، بَلْ هُوَ الْعَالِي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وَعَطَاؤُهُ وَمَنْعُهُ سَلَامٌ أَنْ يَقَعَ فِي غَيْرِ مَوْقِعِهِ، وَمَغْفِرَتُهُ سَلَامٌ أَنْ يُبَالِيَ بِهَا، أَوْ يَضِيقَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ، أَوْ تَصْدُرَ عَنْ عَجْزٍ عَنْ أَخْذِ حَقِّهِ كَمَا تَكُونُ مَغْفِرَةُ النَّاسِ، وَرَحْمَتُهُ وَإِحْسَانُهُ وَرَأْفَتُهُ وَبِرُّهُ وَجُودُهُ، وَمُوَالَاتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَتَحَبُّبُهُ إِلَيْهِمْ وَحَنَانُهُ عَلَيْهِمْ، وَذِكْرُهُ لَهُمْ وَصَلَاتُهُ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ أَنْ يَكُونَ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِمْ،

أَوْ تَعَزُّزٍ بِهِمْ، أَوْ تَكَثُّرٍ بِهِمْ؛ وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ السَّلَامُ مِنْ كُلِّ مَا يُنَافِي كَلَامَهُ الْمُقَدَّسَ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ»(١).

*** دِينُنَا دِينُ السَّلَامِ:**

إِنَّ السَّلَامَ قِيمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ رَاقِيَةٌ حَرَصَ دِينُنَا الْحَنِيفُ عَلَى تَرْسِيخِهَا، فَدِينُنَا دِينُ السَّلَامِ، وَنَبِيُّنَا ﷺ نَبِيُّ السَّلَامِ، وَتَحِيَّتُنَا فِي الدُّنْيَا سَلَامٌ، وَالْجَنَّةُ هِيَ دَارُ السَّلَامِ، وَتَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ السَّلَامُ، وَتَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ سَلَامٌ؛ حَيْثُ يَقُولُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

«هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ- لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً، أَيْ: فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الدِّينِ، وَلَا يَتْرُكُوا مِنْهَا شَيْئًا، وَأَلَّا يَكُونُوا مِمَّنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، إِنْ وَافَقَ الْأَمْرُ الْمَشْرُوعُ هَوَاهُ فَعَلَهُ، وَإِنْ خَالَفَهُ تَرَكَهُ، بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الْهَوَىٰ تَبَعًا لِلدِّينِ، وَأَنْ يَفْعَلَ كُلَّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ، وَمَا يَعْجِزُ عَنْهُ يَلْتَزِمُهُ وَيَنْوِيهِ فَيُدْرِكُهُ بِنِيَّتِهِ.

وَلَمَّا كَانَ الدُّخُولُ فِي السِّلْمِ كَافَّةً لَا يُمْكِنُ وَلَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ طُرُقِ الشَّيْطَانِ؛ قَالَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أَيْ: فِي الْعَمَلِ بِمَعَاصِي اللهِ ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ وَالْعَدُوُّ الْمُبِينُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَمَا بِهِ الضَّرَرُ عَلَيْكُمْ»(٢).

---

(١) «أحكام أهل الذمة» (ص٤١٣-٤١٥).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٩٤).

وَسَمَّىٰ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- الْجَنَّةَ دَارَ السَّلَامِ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

«﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وَسُمِّيَتِ الْجَنَّةُ دَارَ السَّلَامِ؛ لِسَلَامَتِهَا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَآفَةٍ وَكَدَرٍ، وَهَمٍّ وَغَمٍّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُنَغِّصَاتِ، وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ نَعِيمُهَا فِي غَايَةِ الْكَمَالِ وَنِهَايَةِ التَّمَامِ؛ بِحَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ وَصْفِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلَا يَتَمَنَّىٰ فَوْقَهُ الْمُتَمَنُّونَ مِنْ نَعِيمِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَلَهُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»(١).

وَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

«تَحِيَّةُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ اللهِ فِي الْجَنَّةِ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ، وَأَمَانٌ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ»(٢).

«(﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ أَيْ: تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ أَيْ: يَرَوْنَ اللهَ ﴿سَلَٰمٌۚ﴾ أَيْ: يُسَلِّمُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَيُسَلِّمُهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ»(٣).

وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣- ٢٤].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٧٣).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٤٢٤).

(٣) «تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٧).

«﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ مِنْ أَبْوَابِ الْمَنَازِلِ، أَوْ مِنْ أَبْوَابِ الْفُتُوحِ وَالتُّحَفِ قَائِلِينَ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ بِشَارَةٌ بِدَوَامِ السَّلَامَةِ ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾».

«تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ: سَلِمْتُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ بِسَبَبِ صَبْرِكُمْ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ؛ فَنِعْمَ عَاقِبَةُ الدَّارِ الْجَنَّةُ»(١).

وَلِمَكَانَةِ السَّلَامِ وَشَرَفِهِ سَمَّىٰ رَبُّنَا ﷻ نَفْسَهُ (السَّلَامَ)، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤].

«هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ قَدِ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ وَأَوْصَافِهِ الْعُلَىٰ عَظِيمَةِ الشَّأْنِ وَبَدِيعَةِ الْبُرْهَانِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ اللهُ الْمَأْلُوهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ وَذَلِكَ لِكَمَالِهِ الْعَظِيمِ، وَإِحْسَانِهِ الشَّامِلِ، وَتَدْبِيرِهِ الْعَامِّ، وَكُلُّ إِلَهٍ غَيْرُهُ فَإِنَّهُ بَاطِلٌ لَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْعِبَادَةِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ؛ لِأَنَّهُ فَقِيرٌ عَاجِزٌ نَاقِصٌ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ شَيْئًا، ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِعُمُومِ الْعِلْمِ الشَّامِلِ؛ لِمَا غَابَ عَنِ الْخَلْقِ وَمَا يُشَاهِدُونَهُ، وَبِعُمُومِ رَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَوَصَلَتْ إِلَىٰ كُلِّ حَيٍّ.

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٢٥٢).

ثُمَّ كَرَّرَ ذِكْرَ عُمُومِ إِلَهِيَّتِهِ وَانْفِرَادِهِ بِهَا، وَأَنَّهُ الْمَالِكُ لِجَمِيعِ الْمَمَالِكِ، فَالْعَالَمُ الْعُلْوِيُّ وَالسُّفْلِيُّ وَأَهْلُهُ.. الْجَمِيعُ مَمَالِيكُ لِلَّهِ، فُقَرَاءُ مُدَبَّرُونَ.

﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ أَيِ: الْمُقَدَّسُ السَّالِمُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَآفَةٍ وَنَقْصٍ، الْمُعَظَّمُ الْمُمَجَّدُ؛ لِأَنَّ الْقُدُّوسَ يَدُلُّ عَلَىٰ التَّنْزِيهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَالتَّعْظِيمِ لِلَّهِ فِي أَوْصَافِهِ وَجَلَالِهِ»[١].

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ نَبِيِّنَا ﷺ عَقِبَ كُلِّ صَلَاةٍ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**»[٢].

«**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ**» أَيْ: مِنَ الْمَعَائِبِ وَالْحَوَادِثِ وَالتَّغَيُّرِ وَالْآفَاتِ، «**وَمِنْكَ السَّلَامُ**» أَيْ: مِنْكَ يُرْجَىٰ وَيُسْتَوْهَبُ وَيُسْتَفَادُ، «**تَبَارَكْتَ**» أَيْ: تَعَالَيْتَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، أَوْ تَعَالَىٰ صِفَاتُكَ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ «**يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**» أَيْ: يَا مُسْتَحِقَّ الْجَلَالِ، وَهُوَ الْعَظَمَةُ، وَقِيلَ: الْجَلَالُ: التَّنَزُّهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ، وَقِيلَ: الْجَلَالُ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا للهِ، وَالْإِكْرَامُ: الْإِحْسَانُ، وَقِيلَ: الْمُكْرِمُ لِأَوْلِيَائِهِ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ»[٣].

❀❀❀

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٨٥٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «عون المعبود» (٤/ ٢٦٤).

السَّلَامُ مَعَ النَّفْسِ وَالْكَوْنِ كُلِّهِ

إِنَّ السَّلَامَ فِي الْإِسْلَامِ سَلَامٌ شَامِلٌ، وَالْمُسْلِمُ الْحَقِيقِيُّ مُتَسَامِحٌ مَعَ نَفْسِهِ، فِي سَلَامٍ حَقِيقِيٍّ مَعَ أَهْلِهِ وَذَوِيهِ، وَجِيرَانِهِ، وَأَصْدِقَائِهِ، وَمَعَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ إِلَّا مَنِ اسْتَثْنَاهُمُ الشَّرْعُ الْأَغَرُّ مِنْ أَهْلِ الْعُدْوَانِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَمِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُحْدِثِينَ فِي دِينِ اللهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ نَبِيُّنَا ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَمِنْ شَأْنِ الْمُسْلِمِ أَلَّا يَتَنَاوَلَ الْمُسْلِمِينَ بِيَدِهِ أَوْ بِلِسَانِهِ بِأَيِّ لَوْنٍ مِنْ أَلْوَانِ الْأَذَىٰ.

وَقَالَ ﷺ فِي الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَحُرْمَةِ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان: باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، (١٠)، ومسلم: كتاب الإيمان: باب بيان تفاضل الإسلام، (٤٠)، من حديث: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

والحديث في الصحيحين أيضا من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، وعند مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، مرفوعا، بنحوه.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٥٢)، والترمذي (١٩٤٣)، وأحمد (٦٤٩٦).

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ**»(١).

إِنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ تَفْقِدُ اعْتِبَارَهَا وَتَنْمَحِي آثَارُهَا إِنْ هِيَ لَمْ تَنْهَ أَصْحَابَهَا عَنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ وَصُنُوفِ الْأَذَىٰ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه **قَالَ: قِيلَ**: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلَانَةَ تُصَلِّي اللَّيْلَ، وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَصَّدَّقُ، وَفِي لِسَانِهَا شَيْءٌ يُؤْذِي جِيرَانَهَا».

فَقَالَ: «**لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ فِي النَّارِ**»(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَالَ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟**».

قَالُوا: «الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا دِينَارَ».

فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في «**المسند**»: (١/ ٣١١، رقم ٢٩٣)، أحمد: (٢/ ٤٤٠، رقم ٩٦٧٥)، وهناد بن السري في «**الزهد**»: (٢/ ٥٠٥)، والبخاري في «**الأدب المفرد**»: (ص ٤١، رقم ١١٩)، والبزار في «**المسند**»: (١٧/ ١٢٩، رقم ٩٧١٣)، وابن حبان: (١٣/ ٧٦ - ٧٧، رقم ٥٧٦٤-ترتيب ابن بلبان)، والحاكم: (٤/ ١٦٦).
والحديث صححه الألباني أيضا في «**الصحيحة**»: (١/ ٣٦٩، رقم ١٩٠).

يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

هَذَا هُوَ الْمُفْلِسُ الَّذِي لَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُنْقِذُ مُهْجَتَهُ مِنَ النَّارِ، رَغْمَ مَا كَانَ يَفْعَلُ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَاتٍ.(*).

إِنَّ الْمُسْلِمَ يَعِيشُ فِي سَلَامٍ مَعَ الْكَوْنِ كُلِّهِ، فَلَا يُؤْذِي حَيَوَانًا، وَلَا يَحْرِقُ نَبَاتًا، وَلَا يُتْلِفُ شَجَرًا وَلَا ثَمَرًا، إِنَّمَا هُوَ بَنَّاءٌ مِعْطَاءٌ، يُحِبُّ الْخَيْرَ لَا الشَّرَّ، وَالْبِنَاءَ لَا الْهَدْمَ، وَالتَّعْمِيرَ لَا التَّخْرِيبَ وَلَا الْإِفْسَادَ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ يُؤَصِّلُ لِهَذَا السَّلَامِ الْكَوْنِيِّ، فَهُوَ بِحَقٍّ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ -أَيُّهَا الرَّسُولُ- إِلَّا رَحْمَةً لِجَمِيعِ النَّاسِ، فَمَنْ آمَنَ بِكَ سَعِدَ وَنَجَا، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ خَابَ وَخَسِرَ»(٣).

«قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ رَحْمَةً لِجَمِيعِ النَّاسِ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ بِهِ سَعِدَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ سَلِمَ مِمَّا لَحِقَ الْأُمَمَ مِنَ الْخَسْفِ وَالْغَرَقِ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم، (٢٥٨١)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٧هـ| ١٨-٣-٢٠١٦م.

(٣) «التفسير الميسر» (ص٣٣١).

(٤) «تفسير القرطبي» (١١/ ٣٥٠).

وَيَتَجَلَّىٰ ذَلِكَ حِينَ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْزِلًا فَأَخَذَ رَجُلٌ بَيْضَ حُمَّرَةٍ، فَجَاءَتْ تَرِفُّ عَلَىٰ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ بِبَيْضَتِهَا؟**».

فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَا أَخَذْتُ بَيْضَتَهَا».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْدُدْ؛ رَحْمَةً لَهَا**»(١). وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

«**حُمَّرَةٌ**»: طَائِرٌ صَغِيرٌ كَالْعُصْفُورِ.

«**تَرِفُّ**» أَيْ: تَضْرِبُ بِجَنَاحَيْهَا؛ تَعَطُّفًا وَإِظْهَارًا لِتَعَلُّقِهَا بِذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «**ارْدُدْ، رَحْمَةً لَهَا**»: تَأَمَّلْ فِي تَكَامُلِ هَذَا الدِّينِ، إِذْ هُوَ الدِّينُ الْخَاتَمُ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لَقَدِ اتَّسَعَ وَقْتُ وَاهْتِمَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْإِرْشَادِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِتِلْكَ الْحُمَّرَةِ بِذَلِكَ الطَّائِرِ، وَيَأْمُرُ بِرَدِّ بَيْضَةِ الْحُمَّرَةِ إِلَيْهَا رَحْمَةً لَهَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَ ذَلِكَ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَفِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَفِي إِقَامَةِ دِينِ اللهِ وَفِي مُجَالَدَةِ الْكَافِرِينَ الْمُشْرِكِينَ؛ إِقَامَةً لِلدِّينِ، وَتَأْسِيسًا لِدَعَائِمِ الْمِلَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَصْرِفُ هَذَا الْوَقْتَ لِذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْحُمَّرَةِ، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُفَهِّمَنَا حَقِيقَةَ الدِّينِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

---

(١) «الأدب المفرد» (رَقْم ٣٨٢)، وأَخْرَجَهُ أيضا أَبُو دَاوُدَ (رَقْم ٢٦٧٥، و٥٢٧٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيّ فِي «صَحِيح الأدب المفرد» (رَقْم ٢٩٥)، وفِي «الصَحِيحةِ» (١/ رَقْم ٢٥ و٤٨٧).

«**فَجَاءَتْ تَرِفٌّ**»: جَعَلَتْ تَفْرُشُ، كَمَا فِي رِوَايَةٍ، وَفِي أُخْرَىٰ «**تَعْرُشُ**» أَيْ: بِجَنَاحَيْهَا بِفَرْشِ الْجَنَاحِ وَبَسْطِهِ، وَ«التَّعْرِيشُ»: أَنْ يَرْتَفِعَ الطَّائِرُ، ويُظَلِّلَ بِجَنَاحَيْهِ.

«**فَجَعَ هَذِهِ ببَيْضَتِهَا**» أَيْ: وَجَعَ قَلْبَهَا وَأَقْلَقَهَا وَأَوْحَشَهَا.

وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا مَعَ الْجَمَلِ الَّذِي حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ حِينَ رَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟**»؛ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟

فَجَاءَ فَتًىٰ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «لِي يَا رَسُولَ اللهِ».

فَقَالَ ﷺ: «**أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ كَدَّهُ وَتُتْعِبُهُ**»(١).

لِأَنَّ هَذَا الْجَمَلَ كَانَ نَافِرًا، وَكَانَ فِي حَائِطٍ، فَتَحَاشَاهُ النَّاسُ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا نَخْشَىٰ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَدَخَلَ فَلَمَّا رَأَىٰ الْجَمَلُ النَّبِيَّ ﷺ، جَاءَ حَتَّىٰ جَعَلَ رَأْسَهُ عَلَىٰ كَتِفِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخَذَ يَبْكِي، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَمْسَحُ عَلَىٰ رَأسِهِ وَدِفْرَاهُ قَدْ وَضَعَ ﷺ عَلَيْهِمَا يَدَهُ، وَقَالَ: «**لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟**».

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (رَقْم ٢٥٤٩)، مِنْ حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه، وَصَحَّحَ إسناد الْأَلْبَانِيّ في «صَحِيح أبي داود» (٧/ رَقْم ٢٢٩٧)، وفِي «صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٢/ رَقْم ٢٢٦٩).

والحديث أصله في «صَحِيح مُسْلِم» (رَقْم ٣٤٢ و٢٤٢٩) بدون هذه القصة.

فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «لِي يَا رَسُولَ اللهِ».

فَقَالَ ﷺ: «**أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**».

فِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَنَّ الرَّحْمَةَ بِالْبَهَائِمِ وَبِالطُّيُورِ وَبِالْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْمَطْلُوبَاتِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، بَيَانُ كَمَالِ رَحْمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِكُلِّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ مِنْ آدَمِيٍّ وَغَيْرِهِ، تَحْرِيمُ الِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ الْغَيْرِ بِدُونِ دَلِيلٍ مِنَ الشَّرْعِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكُمُ الْغَيْرُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ أَوْ عَالَمِ الطَّيْرِ.(*).

فَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَعِيشَ الْإِنْسَانُ فِي سَلَامٍ مَعَ نَفْسِهِ، وَسَلَامٍ مَعَ أُسْرَتِهِ، وَسَلَامٍ مَعَ عَائِلَتِهِ، وَسَلَامٍ مَعَ جِيرَانِهِ، وَسَلَامٍ مَعَ زُمَلَائِهِ، وَسَلَامٍ مَعَ أَصْدِقَائِهِ، وَسَلَامٍ مَعَ الْمُجْتَمَعِ، وَسَلَامٍ مَعَ الْكَوْنِ كُلِّهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ١٧١٦-١٧١٩).

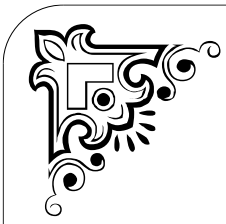

سُبُلُ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! لِأَنَّ اللهَ ﷻ هُوَ السَّلَامُ فَقَدْ دَلَّ عِبَادَهُ عَلَى مَا فِيهِ سَلَامَتُهُمْ، وَحَذَّرَهُمْ مِمَّا فِيهِ هَلَاكُهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِمُ الْكُتُبَ الَّتِي تُرْشِدُهُمْ وَتَهْدِيهِمْ إِلَى سُبُلِ السَّلَامِ(١)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

«﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ، يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهَالَةِ وَعَمَايَةِ الضَّلَالَةِ ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ لِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ الْخَلْقُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؛ مِنَ الْعِلْمِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَمِنَ الْعِلْمِ بِأَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةِ وَأَحْكَامِهِ الْجَزَائِيَّةِ.

ثُمَّ ذَكَرَ مَنِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَمَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي مِنَ الْعَبْدِ لِحُصُولِ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أَيْ: يَهْدِي بِهِ مَنِ اجْتَهَدَ وَحَرَصَ عَلَىٰ بُلُوغِ مَرْضَاةِ اللهِ، وَصَارَ قَصْدُهُ حَسَنًا..

---

(١) من خطبة: «اسم الله (السلام)».

سُبُلَ السَّلَامِ الَّتِي تُسَلِّمُ صَاحِبَهَا مِنَ الْعَذَابِ، وَتُوصِلُهُ إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِالْحَقِّ، وَالْعَمَلُ بِهِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا»(١).

وَهَؤُلَاءِ الرُّسُلُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ قَدْ حَفِظَهُمْ وَسَلَّمَهُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ؛ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩].

«قُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ كَمَالَ الْحَمْدِ وَالْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ؛ لِكَمَالِ أَوْصَافِهِ، وَجَمِيلِ مَعْرُوفِهِ وَهِبَاتِهِ، وَعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي عُقُوبَتِهِ الْمُكَذِّبِينَ وَتَعْذِيبِ الظَّالِمِينَ، وَسَلِّمْ -أَيْضًا- عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ تَخَيَّرَهُمْ وَاصْطَفَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَصَفْوَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَذَلِكَ لِرَفْعِ ذِكْرِهِمْ، وَتَنْوِيهًا بِقَدْرِهِمْ، وَسَلَامَتِهِمْ مِنَ الشَّرِّ وَالْأَدْنَاسِ، وَسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ فِي رَبِّهِمْ مِنَ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ»(٢).

وَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

«﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآفَاتِ، وَسَلَامَةِ مَا وَصَفُوا بِهِ فَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ»(٣).

❊❊❊

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٢٦).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٦٠٧).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٧٠٨).

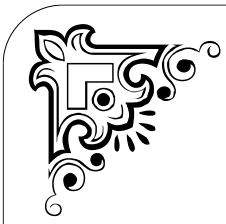

أَعْظَمُ السُّبُلِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّنَا نُؤَكِّدُ أَنَّ السَّلَامَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا مِنْ خِلَالِ نُفُوسٍ صَافِيَةٍ تَحْكُمُهَا ضَوَابِطُ إِيمَانِيَّةٌ سَامِيَةٌ وَأُصُولٌ شَرْعِيَّةٌ رَاقِيَةٌ، أَعْظَمُهَا وَأَجَلُّهَا وَأَرْقَاهَا: تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ لِلْعَزِيزِ لِلْمَجِيدِ، فَأَعْظَمُ سَبِيلٍ لِلْوُصُولِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢](*).

﴿**ءَامَنُواْ**﴾: أَيْ أَخْلَصُوا العبادة للهِ؛ صَدَقُوا بِقُلُوبِهِمْ، ونَطَقُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَعَمِلُوا بِجَوَارِحِهِمْ.

وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ: تَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ.

﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ**﴾: أَيْ لَمْ يَخْلِطُوا ﴿**إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ**﴾: الْمُرَادُ بِهِ فِي الْآيَةِ الشِّرْكُ؛ وَهِيَ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ؛ فَتُفِيدُ الْعُمُومَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» -الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٣هـ| ٢٨-٠٩-٢٠١٢م.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾، وَالْأَمْنُ: طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ، وَزَوَالُ الْخَوْفِ.

﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾: مُوَفَّقُونَ لِلسَّيْرِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، ثَابِتُونَ عَلَيْهِ.(*).

﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ شَرْعِ اللهِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ فَالِاهْتِدَاءُ بِالْعِلْمِ هِدَايَةُ إِرْشَادٍ، وَالِاهْتِدَاءُ بِالْعَمَلِ: هِدَايَةُ تَوْفِيقٍ.

﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ إِلَىٰ الْجِنَّةِ.(*/٢).

فَبَيَّنَ ثَوَابَ الْمُوَحِّدِ، وَأَخْبَرَ ﷻ عَنْ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَخْلِطُوا تَوْحِيدَهُمْ بِظُلْمٍ -أَيْ بِشِرْكٍ- أَنَّهُمْ هُمُ الْآمِنُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الْمُهْتَدُونَ إِلَىٰ صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ.

ثَمَرَاتُ التَّوْحِيدِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: الْفَوْزُ بِرِضَا اللهِ -سُبْحَانَهُ-، وَالْأَمْنُ النَّفْسِيُّ، وَالشُّعُورُ بِالطُّمَأْنِينَةِ، وَالْحَيَاةُ السَّعِيدَةِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْقَلَقِ وَالشَّقَاءِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ يَقْتَرِبُونَ مِنْ هَذِهِ الْحِيَاضِ النَّيِّرَةِ، وَالرَّوْضَاتِ الْمُونِقَةِ يُؤْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمْنًا نَفْسِيًّا، وَسَوَاءً عَقْلِيًّا، وَشُعُورًا بِالطُّمَأْنِينَةِ وَالِاسْتِقْرَارِ؛ يَحْسُدُهُمْ عَلَيْهِمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ: بَابٌ: فَضْلُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ» - السَّبْت ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٩-٧-٢٠١٤م.

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ كِتَاب: «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ: بَابٌ: فَضْلُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ» - الْأَحَد ١٦ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣هـ| ١١-١٢-٢٠١١م.

كَمَا قَالَ سَلَفُنَا الصَّالِحُونَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَيَّ أَوْقَاتٌ -يَعْنِي مِنْ قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَلَجْئِهِ إِلَيْهِ، وَانْطِرَاحِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَا يَجِدُ كِفَاءَ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ وَضَمِيرِهِ وَعَقْلِهِ وجَسَدِهِ- يَقُولُ: إِنَّهُ لَتَأْتِي عَلَيَّ أَوْقَاتٌ أَقُولُ: لَوْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ مَا نَحْنُ فِيهِ، إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ»(١).

فَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا حُقِّقَ هَذَا الْأَمْرُ؛ ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ**﴾.

فَالْأَمْنُ وَالِاهْتِدَاءُ عَلَىٰ قَدْرِ تَحْقِيقِ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ.(*).

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَلَا تَتَحَقَّقُ فِيهِمُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْحَقَّةُ إِلَّا إِذَا حَقَّقُوا الْغَرَضَ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَهُمُ اللهُ جَلَّوَعَلَا، وَإِذَا لَمْ يُحَقِّقُوهُ تَمَزَّقَتْ نُفُوسُهُمْ.

الشِّرْكُ يُمَزِّقُ وَحْدَةَ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

﴿**قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ**﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

---

(١) «**الوابل الصيب**» لابن القيم: ص١١١، و«**مدارج السالكين**»: ٢/ ٦٧ و٣/ ٢٤٣، و«**لطائف المعارف**» لابن رجب: ص٥٥٤.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ: بَابٌ: فَضْلُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ» - السَّبْت ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٩-٧-٢٠١٤م.

كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ نَشَاطٍ وَحَرَكَةٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ للهِ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ؛ فَتَتَحَقَّقُ -حِينَئِذٍ- وَحْدَةُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَهْدَأُ وَتَسْتَقِرُّ الرُّوحُ، وَيَطْمَئِنُّ الضَّمِيرُ، وَيَهْدَأُ الْجَنَانُ، وَتَسْتَقِيمُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْأَقْدَامُ.(*).

يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٧-٢٩].

يَضْرِبُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ؛ لَعَلَّهُ يُصَادِفُ فِي قُلُوبِهِمْ مَوَاطِنَ الذِّكْرَىٰ فَيَعْلَمُونَ وَيَتَعَلَّمُونَ.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَا عِوَجَ فِيهِ، وَلَا خَلَلَ فِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ عَلَىٰ قَانُونِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَتِينِ.

ضَرَبَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَثَلًا لِلْمُوَحِّدِ وَالْمُشْرِكِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَاسْتَنْطَقَ النَّاسَ، سَأَلَ النَّاسَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُجِيبُوا بِأَنْفُسِهِمْ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْطِقُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَلِكَيْ تَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَوَاتِهِمْ وَمِنْ إِقْرَارَاتِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣هـ| ٢٨-٩-٢٠١٢م.

رَجُلٌ هُوَ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ لِشُرَكَاءَ مُتَشَاكِسِينَ، كُلٌّ يَأْمُرُ بِأَمْرٍ، وَكُلٌّ يَرْغَبُ فِي رَغْبَةٍ، وَكُلٌّ يُرِيدُ إِرَادَةً يُشَاكِسُ بِهَا الْآخَرِينَ، فَهُوَ مُوَزَّعُ الْقُوَىٰ، مُبَدَّدُ الطَّاقَاتِ، لَا تَسْتَقِيمُ لَهُ قَدَمٌ عَلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ.

وَفِي الْمُقَابِلِ يَضْرِبُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَثَلًا رَجُلًا سَلَمًا سَالِمًا خَالِصًا، لَيْسَتْ فِيهِ شَرِكَةٌ لِأَحَدٍ سِوَىٰ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَمْلِكُهُ ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾.

يَقُولُ الْعُقَلَاءُ مِنَ الْمُسْتَفْهَمِينَ مِنَ الْمَسْئُولِينَ: إِنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؛ هَذَا فِي قَلَقٍ وَضَيْعَةٍ وَحَيْرَةٍ وَاضْطِرَابٍ وَشَتَاتِ أَمْرٍ، لَا تَسْتَقِيمُ لَهُ عَلَىٰ الطَّرِيقِ قَدَمٌ، مُبَدَّدُ الْقُوَىٰ، مُوَزَّعُ الطَّاقَاتِ، لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ قَلْبٌ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَبَدَّدَ شَمْلُهُ بَعْدَ حِينٍ، وَلَا يَكَادُ يَسْتَقِرُّ عَلَىٰ جَنْبٍ حَتَّىٰ يُقِضَّ مَضْجَعَهُ أَمْرٌ لِسَيِّدٍ مِنْ سَادَاتِهِ الْمُتَشَاكِسِينَ ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ هُوَ خَالِصٌ لِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي وُصِفَ بِهَذِهِ الرُّجُولَةِ الْمُطْلَقَةِ ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾.

لَا يَسْتَوِي الْمُوَحِّدُ الَّذِي لَا يَرَىٰ عَلَىٰ سَمْتِ الْأُفُقِ إِلَّا نَجْمًا وَاحِدًا، فَهُوَ يَهْدِيهِ فِي الدَّيَاجِيرِ، تَسْتَقِيمُ الْقَدَمُ عَلَىٰ ضَوْئِهِ عَلَىٰ سَمْتِهِ وَتَؤُمُّهُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَىٰ دَرْبٍ لَاحِبٍ لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا أَمْتَ.

وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَإِنَّهُ تَتَبَدَّدُهُ وَتَتَوَزَّعُهُ طَاقَاتٌ عِدَّةٌ، لَا يَكَادُ يَأْتِيهِ اسْتِقْرَارٌ إِلَّا مَعَ الْقَلَقِ الْمُبِينِ، وَإِلَّا مَعَ الْحَيْرَةِ الْمُضْنِيَةِ، وَإِلَّا مَعَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَسُوقُ الْحَمْدَ هَاهُنَا؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ لَنَا سَمْتًا وَاحِدًا، وَجَعَلَ لَنَا سَمْتًا نَؤُمُّهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لَا تَزِيغُ فِيهِ

الْأَقْدَامُ، وَلَا تَضِلُّ فِي هَدْيِهِ الْأَفْهَامُ، وَإِنَّمَا نَمْضِي فِيهِ قُدُمًا إِلَىٰ أَمَامَ أَمَامَ، وَالْأَعْيُنُ مُعَلَّقَاتٌ بِالنَّجْمِ الَّذِي لَا يَغِيبُ؛ بِنَجْمِ هِدَايَةِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ آتِيًا مِنْ هُنَاكَ، يَأْتِي بِهِ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ ﷺ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْأَمْرَ أَمْرًا وَاحِدًا لَا تَتَبَدَّدُ فِيهِ الْقُوَىٰ، وَلَا تَتَوَزَّعُ فِيهِ الطَّاقَاتُ.(*).

عَبْدٌ وَاحِدٌ لِرَبٍّ وَاحِدٍ، لِإِلَهٍ وَاحِدٍ، يُحَقِّقُ أَمْرَهُ وَيَجْتَنِبُ نَهْيَهُ، وَيَعْبُدُهُ مُخْلِصًا لَهُ الْعِبَادَةَ وَالدِّينَ، أَهَذَا فِي اسْتِقْرَارِ قَلْبِهِ، وَقَرَارِ ضَمِيرِهِ، وَرَاحَةِ فُؤَادِهِ وَرُوحِهِ، كَمَنْ فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ، هَذَا يَأْمُرُهُ وَهَذَا يَنْهَاهُ، وَهَذَا يُقِيمُهُ وَهَذَا يُقْعِدُهُ، وَهَذَا يُوقِظُهُ وَهَذَا يُنِيمُهُ، فَأَنَّىٰ يَسْتَقِرُّ لِهَذَا قَلْبٌ عَلَىٰ قَرَارٍ؟!!

هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟!!

سَيُجِيبُ كُلُّ مَنْ آتَاهُ اللهُ عَقْلًا: لَا يَسْتَوِيَانِ.

الْحَمْدُ للهِ.. لَقَدْ نَطَقْتُمْ أَنْتُمْ، وَأَجَبْتُمْ عَنِ الْمَثَلِ الَّذِي ضَرَبْتُ لَكُمْ لِلْمُوَحِّدِ وَالْمُشْرِكِ.. هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟

وَالْجَوَابُ هَاهُنَا مَحْذُوفٌ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ، وَالتَّعْقِيبُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩](*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَيْنَ سَلَامَةُ الصَّدْرِ؟».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣هـ| ٢٨-٩-٢٠١٢م.

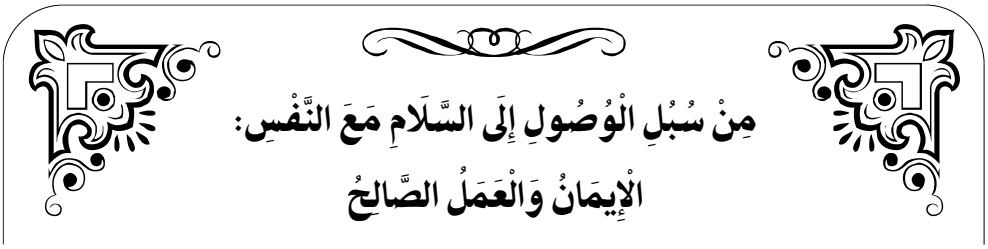

مِنْ سُبُلِ الْوُصُولِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّنَا لَوْ سَأَلْنَا أَيَّ مُسْلِمٍ عَنْ غَايَتِهِ لَقَالَ: إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَعِيشَ سَعِيدًا، وَأَنْ يَمُوتَ حَمِيدًا، وَأَنْ يُبْعَثَ آمِنًا.

فَهَذِهِ غَايَةٌ شَرِيفَةٌ، وَمَقْصِدٌ كَرِيمٌ لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ مُسْلِمَانِ، وَلَكِنَّكَ إِنْ سَأَلْتَ: «مَا الْوَسِيلَةُ؟»؛ تَبَايَنَتِ الْآرَاءُ، وَتَدَخَّلَتِ الْأَهْوَاءُ!

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَكَرَ الْمَقْصِدَ وَالْغَايَةَ مَعَ الْوَسِيلَةِ وَالطَّرِيقَةِ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النَّحْل: ٩٧].

فَذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْغَايَةَ، وَأَرْدَفَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالطَّرِيقَةِ وَالْوَسِيلَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَيْهَا؛ أَنْ تَعِيشَ سَعِيدًا، وَأَنْ تَمُوتَ حَمِيدًا، وَأَنْ تُبْعَثَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

طَرِيقُكَ إِلَىٰ ذَلِكَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَإِذَا حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، وَأَتَوْا بِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ.. تَحَقَّقَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالْجَزَاءِ الْحَسَنِ.

وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ حَيَاةُ الْعِزَّةِ، وَحَيَاةُ الْكَرَامَةِ، وَحَيَاةُ الشَّرَفِ، وَحَيَاةُ الِاطْمِئْنَانِ وَنَفْيِ الْقَلَقِ.

الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ حَيَاةُ الِاسْتِعْلَاءِ بِالْإِيمَانِ فَوْقَ مُتَطَلَّبَاتِ الْأَرْضِ وَمُقْتَضَيَاتِ الطِّينِ.

الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ وَالْجَزَاءُ الْحَسَنُ، لَمَّا حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ آتَاهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الرِّفْعَةَ وَالسِّيَادَةَ وَقِيَادَةَ الْعَالَمِ.

وَالْمِثَالُ الَّذِي يُضْرَبُ فِي هَذَا الْمَجَالِ هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي قَوْمٍ أُمِّيِّينَ لَيْسَ لَهُمْ حَظٌّ وَلَا نَصِيبٌ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا مِنَ الْحَضَارَةِ، تُفْنِيهِمُ الْحُرُوبُ، يُشَنُّ أُوَارُ تِلْكَ الْحُرُوبِ بَيْنَهُمْ لِأَتْفَهِ الْأَسْبَابِ، وَيَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا!

وَبَعَثَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيْنَهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ؛ فَلَمَّا اتَّبَعُوا الرَّسُولَ ﷺ فَآمَنُوا وَعَمِلُوا صَالِحًا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا مِنَ الزَّمَانِ حَتَّىٰ كَانُوا سَادَةَ الْعَالَمِ وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَدُكَّتْ أَمَامَ زَحْفِهِمْ بِكَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» الْحُصُونُ، وَسُوِّيَتِ الْأَسْوَارُ، وَثُلَّتِ التِّيجَانُ، وَهُدِمَتِ الْعُرُوشُ.. لَمَّا أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ بِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ؛ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَيُؤْتِي اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ أَتَىٰ بِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا؛ يُؤْتِيهِ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ، مَعَ مَا يَعِدُهُ بِهِ رَبُّهُ جَلَّوَعَلَا مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ فِي جَنَّةِ الْإِقَامَةِ بِالْكَرَامَةِ.

وَلَمَّا تَرَكَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَضَعُفَ الْإِيمَانُ وَرَقَّ وَخَفِيَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ أَوْ كَادَ يَزُولُ؛ سُلِّطَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمَمُ، وَوَقَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الذُّلِّ مَا هُوَ مَعْلُومٌ لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ، وَأَتَاهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ مَا يُوعَدُونَ جَزَاءَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يَأْخُذُهُ بِقُوَّةٍ كَمَا أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُؤْخَذَ الدِّينُ.

الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ سِرُّ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، مَعَ مَا يَعِدُ بِهِ رَبُّنَا جَلَّتْ قُدْرَتُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النُّور: ٥٥].

فَوَعَدَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ أَتَىٰ بِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ وَحَقَّقَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلُ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُ الدِّينَ.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِذَا مَكَّنَ لِلصَّالِحِينَ مَكَّنُوا لِدِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الْأَرْضِ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحَجّ: ٤٠-٤١].

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُرِيدُ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ أَنْ يُحَقِّقَهُمَا الْمُسْلِمُونَ، فَإِذَا حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَآمَنُوا وَعَمِلُوا صَالِحًا مَكَّنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ

فِي الْأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُمْ فِيهَا كَمَا اسْتَخْلَفَ الصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلُ، ثُمَّ يُمَكِّنُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ، وَذَلِكَ كُلُّهُ يُؤَدِّي فِي النِّهَايَةِ إِلَىٰ مَاذَا؟

إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]؛ يُوَحِّدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا.

وَأَمَّا مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ الْفِسْقُ حَقًّا، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لَا فَاسِقَ إِلَّا هُمْ، وَهَذَا أُسْلُوبٌ مَعْرُوفٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ يُفِيدُ الْقَصْرَ وَالْحَصْرَ: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ شَرَعَ لَنَا هَذَا الدِّينَ الْعَظِيمَ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَسْأَلَهُ، فَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي هُوَ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ارْتَضَاهُ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ.

الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ هُوَ دِينُ الْمُرْسَلِينَ أَجْمَعِينَ، أَرْسَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ، حَتَّىٰ جَاءَ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَكُلُّهُ مَحَاسِنُ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ رَضِيَهُ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ.

فَعَقِيدَتُهُ تَجْعَلُكَ مُطْمَئِنَّ الْقَلْبِ لِرَبِّكَ جَلَّوَعَلَا، مُسْتَقِرَّ الضَّمِيرِ، مُوَحِّدًا سَيِّدَكَ الَّذِي خَلَقَكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهُوَ يَرْزُقُكَ وَيَكْلَؤُكَ وَيَرْعَاكَ، تُوَحِّدُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، تَعْبُدُهُ وَتُؤَدِّي الْعِبَادَةَ لِوَجْهِهِ طَالِبًا رِضَاهُ وَحْدَهُ.

هَذِهِ الْفِطْرَةُ هِيَ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ، هِيَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ**»؛ عَلَىٰ هَذَا الدِّينِ، عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، فَطَرَكَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَنْشَأَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَكَ إِلَىٰ هَذَا الْوُجُودِ مُسْلِمًا.

وَمَا يَأْتِي بَعْدُ مِنَ انْحِرَافَاتٍ فِي الِاعْتِقَادِ وَالْأَدْيَانِ وَمَا أَشْبَهَ.. فَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ، وَمِنْ فِعْلِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ[1].

«**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[2]، سُبْحَانَ اللهِ! وَلَمْ يَقُلْ بِهِ: أَوْ يَجْعَلَانِهِ مُسْلِمًا! لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ عَلَىٰ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، أَنْشَأَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَفَطَرَهُ مُسْلِمًا

فَالْكُفْرُ وَالشِّرْكُ انْحِرَافٌ عَنِ الْفِطْرَةِ، وَإِذَا انْحَرَفَتِ الْفِطْرَةُ عَمَّا فَطَرَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ، وَإِذَا مَا جَانَبَ الْإِنْسَانُ الطَّرِيقَ الَّذِي هَدَاهُ اللهُ إِلَيْهِ هِدَايَةً

---

(١) أخرج مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ٢١٩٧، رقم ٢٨٦٥)، من حديث: عِيَاضِ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه:
أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ**،...» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ٢٤٥-٢٤٦، رقم ١٣٨٥)، ومسلم في «الصحيح»: (٤/ ٢٠٤٧، رقم ٢٦٥٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
وفي رواية لهما: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ**،...»، ولمسلم: «**كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ**،...».

قَدَرِيَّةً بِهِدَايَةِ الدَّلَالَةِ هِدَايَةً شَرْعِيَّةً، هِدَايَةً قَدَرِيَّةً لِمَنْ تَبِعَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ مَعَ شَرِيعَتِهَا، وَدَلَالَةً شَرْعِيَّةً لِمَنْ جَانَبَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ وَلَمْ يُوقِنْ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هَدَاكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ هَذِهِ الْفِطْرَةِ وَأَقَامَكَ عَلَيْهَا، فَأَيُّ انْحِرَافٍ عَنْ سَبِيلِهَا يَجْعَلُ الْمَرْءَ فِي قَلَقٍ دَائِمٍ، وَفِي هَمٍّ مُقِيمٍ، وَحَالُهُ لَا يَسْتَقِيمُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَقِيمَ حَالُ الْمَرْءِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَدِينُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْفِطْرَةُ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ حُنَفَاءَ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَإِذَا وَافَقَتِ الْفِطْرَةُ الشَّرْعَ وَوَافَقَ الشَّرْعُ الْفِطْرَةَ فَهِيَ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَنْتَظِرُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَطَاءِ.

هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، فَيَحْيَا الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ مَعَ مَا يَنْتَظِرُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ عِنْدَ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا.

عِيشُوا الْإِسْلَامَ إِذَا أَرَدْتُمُ الْمَرْدُودَ الْحَقَّ، عِيشُوهُ، عِيشُوا دِينَ اللهِ، أَمَّا أَنْ نَتَوَقَّفَ عِنْدَ حُدُودِ اللَّفْظِ كَلَامًا أَوْ عِنْدَ حُدُودِ الْكَلِمَةِ كِتَابَةً وَبَيَانًا.. فَمَا أَكْثَرَ الْكَلَامَ! وَمَا أَعْظَمَ الْفَصَاحَةَ وَالْبَلَاغَةَ يُهْدَرُ بِهَا فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَكَلَامٍ! وَلَكِنْ.. أَيَّ شَيْءٍ يُفِيدُ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَتَحَوَّلْ إِلَىٰ وَاقِعٍ مَنْظُورٍ فِي كَوْنِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟!!(*).

مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ: أَنَّ الْهِدَايَةَ مِنَ اللهِ لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَلِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَسُلُوكِهِ هِيَ بِحَسَبِ الْإِيمَانِ وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة: ١٦].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْفِطْرِ ١٤٢٨هـ: «الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ وَالْجَزَاءُ الْحَسَنُ» - السَّبْتُ ١ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٢٨هـ| ١٣-١٠-٢٠٠٧م.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ اتِّبَاعَ رِضْوَانِ اللهِ -الَّذِي هُوَ حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ- هُوَ رُوحُ الْإِيمَانِ، وَسَاقُهُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، فَهَذِهِ هِدَايَةٌ عَمَلِيَّةٌ، هِدَايَةُ تَوْفِيقٍ وَإِعَانَةٍ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِوَظِيفَةِ الصَّبْرِ عِنْدَ حُلُولِ الْمَصَائِبِ إِذَا عَلِمَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَرَضِيَ وَسَلِمَ وَانْقَادَ.

*** وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ، وَبِكَمَالِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَكِبْرِيَائِهِ، وَمَجْدِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ يَقِينًا وَطُمَأْنِينَةً، وَتَوَكُّلًا عَلَىٰ اللهِ،** وَثِقَةً بِوَعْدِهِ الصَّادِقِ، وَرَجَاءً لِرَحْمَتِهِ، وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَأَعْظَمُهُمْ إِجْلَالًا للهِ وَمُرَاقَبَةً، وَأَعْظَمُهُمْ إِخْلَاصًا وَصِدْقًا، وَهَذَا هُوَ صَلَاحُ الْقُلُوبِ، لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ.

*** مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ: أَنَّ قَوِيَّ الْإِيمَانِ يَجِدُ فِي قَلْبِهِ مِنْ ذَوْقِ حَلَاوَتِهِ، وَلَذَّةِ طَعْمِهِ، وَاسْتِحْلَاءِ آثَارِهِ،** وَالتَّلَذُّذِ بِخِدْمَةِ رَبِّهِ، وَأَدَاءِ حُقُوقِهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ -الَّتِي هِيَ مُوجَبُ الْإِيمَانِ وَأَثَرُهُ-؛ يَجِدُ مَا يُزْرِي بِلَذَّاتِ الدُّنْيَا كُلِّهَا بِأَسْرِهَا؛ فَإِنَّهُ مَسْرُورٌ وَقْتَ قِيَامِهِ بِوَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ وَمُسْتَحَبَّاتِهِ، وَمَسْرُورٌ بِمَا يَرْجُوهُ وَيُؤَمِّلُهُ مِنْ رَبِّهِ؛ مِنْ ثَوَابِهِ وَجَزَائِهِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، وَمَسْرُورٌ بِأَنَّهُ رَبِحَ وَقْتَهُ الَّذِي هُوَ زَهْرَةُ عُمُرِهِ وَأَصْلُ مَكْسَبِهِ، وَمَحْشُوٌّ قَلْبِهِ -أَيْضًا- مِنْ لَذَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِكَمَالِهِ وَكَمَالِ بِرِّهِ، وَسَعَةِ جُودِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَلَذَّةِ مَحَبَّتِهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ النَّاشِئَةِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ بِأَوْصَافِهِ، وَعَنْ مُشَاهَدَةِ إِحْسَانِهِ وَمِنَنِهِ.

فَالْمُؤْمِنُ يَتَقَلَّبُ فِي لَذَّاتِ الْإِيمَانِ وَحَلَاوَتِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْإِيمَانُ مُسَلِّيًا عَنِ الْمُصِيبَاتِ، مُهَوِّنًا لِلطَّاعَاتِ، وَمَانِعًا مِنْ وُقُوعِ الْمُخَالَفَاتِ، جَاعِلًا إِرَادَةَ الْعَبْدِ وَهَوَاهُ تَبَعًا لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ)، الثُّلَاثَاءُ ١٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ| ٢٤-٩-٢٠١٣م.

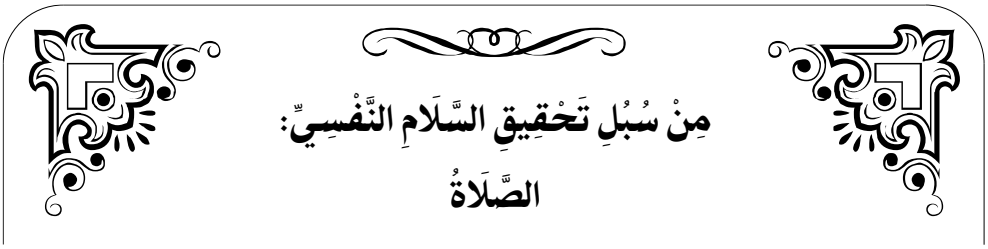

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: الصَّلَاةُ

إِنَّ لِلصَّلَاةِ كَثِيرًا مِنَ الْفَوَائِدِ وَالثَّمَرَاتِ، وَمِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ الصَّلَاةِ: أَنَّ بِهَا قُرَّةَ الْعَيْنِ، وَطُمَأْنِينَةَ الْقَلْبِ، وَرَاحَةَ النَّفْسِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «سُنَنِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَغَيْرُهُ(١).

وَكَانَ يَقُولُ: «**قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَتَفَرَّدَ بِهِ، وَنَصُّهُ عِنْدَهُ: «**يَا بِلَالُ! أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا**». وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ(٢).

---

(١) كَمَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «**الْمُجْتَبَى**»: (٧/ ٦١، رقم ٣٩٣٩) من حديث أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**». وَالْحَدِيثُ حَسَّنَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي هامشِ «**المشكاة**»: (٣/ ١٤٤٨، رقم ٥٢٦١).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: (٤/ ٢٩٦، رقم ٤٩٨٥)، من طريق: سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: قَالَ مِسْعَرٌ أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ، فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**». والحديث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ**»: (٣/ ٢٢٥، رقم ٤٩٨٥).

فَالصَّلَاةُ ذِكْرٌ، وَبِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، وَصِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، يَقُومُ الْمُصَلِّي بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ خَاشِعًا ذَلِيلًا، يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَيَتْلُو كِتَابَهُ، وَيُعَظِّمُهُ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَيَسْأَلُهُ حَاجَاتِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ؛ فَالصَّلَاةُ رَوْضَةٌ يَانِعَةٌ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ.(*).

عِبَادَ اللهِ! قَالَ رَسُولُكُمْ ﷺ: «**يَا بِلَالُ! قُمْ أَرِحْنَا بِهَا**»(٢)، «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»(٣).

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَىٰ اللهِ، وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَىٰ اللهِ، فَلَوْ كَانَ هُنَالِكَ شَيْءٌ هُوَ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ هَذِهِ الْعِبَادَةِ؛ لَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِ رَسُولِهِ وَخَلِيلِهِ فِيهِ، وَلَكِنْ قَالَ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»، «**أَرِحْنَا بِهَا**»، لَا (أَرِحْنَا مِنْهَا)، «**أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ**».(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ كِتَاب: «صِفَةُ الصَّلَاةِ» - الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ - الثُّلَاثَاءُ ٢٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٣٥هـ| ٢٩-٤-٢٠١٤م.

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٣) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «التَّعَبُّدُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الصَّلَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ٢٣-٥-٢٠١٤م.

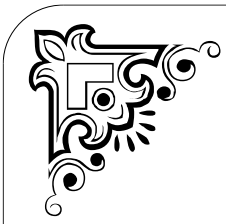

مِنْ وَسَائِلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: ذِكْرُ اللهِ

مِنَ الْوَسَائِلِ الْعَظِيمَةِ لِلْوُصُولِ إِلَى رَاحَةِ الْقَلْبِ وَالسَّلَامِ النَّفْسِيِّ: ذِكْرُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَمِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ لِانْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَطُمَأْنِينَتِهِ: الْإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ؛ فَإِنَّ لِذَلِكَ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَطُمَأْنِينَتِهِ، وَزَوَالِ هَمِّهِ وَغَمِّهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فَلِذِكْرِ اللهِ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي حُصُولِ هَذَا الْمَطْلُوبِ لِخَاصِيَّتِهِ، وَلِمَا يَرْجُوهُ الْعَبْدُ مِنْ ثَوَابِهِ وَأَجْرِهِ.(*).

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾: أَيْ حَقِيقٌ بِهَا وَحَرِيٌّ أَلَّا تَطْمَئِنَّ لِشَيْءٍ سِوَىٰ ذِكْرِهِ، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَلَذَّ لِلْقُلُوبِ، وَلَا أَشْهَىٰ وَلَا أَحْلَىٰ مِنْ مَحَبَّةِ خَالِقِهَا، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ، وَعَلَىٰ قَدْرِ مَعْرِفَتِهَا بِاللهِ، وَمَحَبَّتِهَا لَهُ؛ يَكُونُ ذِكْرُهَا لَهُ، ذَلِكَ عَلَىٰ الْقَوْلِ بِأَنَّ ذِكْرَ اللهِ ذِكْرُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ مِنْ تَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ١٣-١١-٢٠١٣م.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٤١٧).

وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ اللهِ كِتَابُهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ ذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَعَلَىٰ هَذَا مَعْنَىٰ طُمَأْنِينَةِ الْقُلُوبِ بِذِكْرِ اللهِ: أَنَّهَا حِينَ تَعْرِفُ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ وَأَحْكَامَهُ تَطْمَئِنُّ لَهَا؛ فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ الْمُؤَيَّدِ بِالْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ، فَبِذَلِكَ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، فَإِنَّهَا لَا تَطْمَئِنُّ إِلَّا بِالْيَقِينِ وَالْعِلْمِ، وَذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ مَضْمُونٌ عَلَىٰ أَتَمِّ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا، وَأَمَّا مَا سِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ؛ فَلَا تَطْمَئِنُّ بِهَا، بَلْ لَا تَزَالُ قَلِقَةً مِنْ تَعَارُضِ الْأَدِلَّةِ وَتَضَادِّ الْأَحْكَامِ». (*).

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾.

«وَيَهْدِي الَّذِينَ تَسْكُنُ قُلُوبُهُمْ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَذِكْرِهِ فَتَطْمَئِنُّ، أَلَا بِطَاعَةِ اللهِ وَذِكْرِهِ وَثَوَابِهِ تَسْكُنُ الْقُلُوبُ وَتَسْتَأْنِسُ»(٢).

الذِّكْرُ يُزِيلُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ عَنِ الْقَلبِ، وَيَجْلِبُ لِلْقَلبِ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالْبَسْطَ.

وَالذِّكْرُ يُقَوِّي الْقَلبَ وَالْبَدَنَ، وَيُنَوِّرُ الْوَجْهَ وَالْقَلبَ. (*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (الْمُحَاضَرَةُ الأُولَىٰ: مُقَدِّمَةُ الْمُصَنِّفِ)، الْأَحَدُ ١٩ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ| ١٠-٩-٢٠١٧م.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٢٥٢).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «ذِكْرُ اللهِ وَظِيفَةُ الْحَيَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ| ١٥-٩-٢٠١٧م.

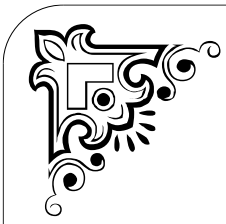

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: مَعْرِفَةُ الْغَايَةِ مِنَ الْخَلْقِ وَتَوْحِيدُ الْقَصْدِ

مِنْ أَعْظَمِ السُّبُلِ لِلْوُصُولِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ وَاسْتِقْرَارِ الرُّوحِ: مَعْرِفَةُ الْغَايَةِ الَّتِي خَلَقَنَا اللهُ لِأَجْلِهَا؛ فَإِنَّ الْغَايَةَ مِنْ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتِهِ هِيَ: عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦](*).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

بَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْحِكْمَةَ مِنْ خَلْقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ عَبَثًا وَلَا سُدًى، وَإِنَّمَا خَلَقَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِعِبَادَتِهِ.

وَالْعِبَادَةُ: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

وَأَوَّلُ مَا أَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ وَوَصَّىٰ، وَأَوْجَبَ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ: أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ: مُقَدِّمَةٌ وَبَيَانُ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٩-٧-٢٠١٤م.

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ: مَوْضُوعُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٩-٧-٢٠١٤م.

وَمَنْ عَرَفَ الْغَايَةَ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مِنْ أَجْلِهَا وَحَدَّ قَصْدَهُ وَهَدَفَهُ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ رَاحَةِ قَلْبِهِ وَسَلَامِهِ مَعَ نَفْسِهِ وَمَعَ مَنْ حَوْلَهُ، وَالرَّسُولُ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِهِ وَابْنُ مَاجَه مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ**»(١).

فِي صُورَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ -وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ- يَأْتِي الرَّسُولُ ﷺ بِصُورَةِ رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ الشَّمْلَ كُلَّهُ، فَلَا يَتَفَرَّقُ عَلَيْهِ مِنْ شَمْلِهِ شَيْءٌ، وَإِنَّمَا هُوَ مَجْمُوعُ الشَّمْلِ بِوِحْدَةِ الْقَصْدِ لَا يَلْتَفِتُ، وَإِنَّمَا إِلَىٰ أَمَامَ أَمَامَ، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا، وَمِنْ عَاقِبَتِهِ رَشَدًا، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ فِي الدُّنْيَا ثَبَاتًا وَنَصْرًا.

فَهَذِهِ صُورَةٌ.. يُقَابِلُهَا صُورَةٌ أُخْرَىٰ؛ صُورَةُ الرَّجُلِ الَّذِيٰ تَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلُهُ، فَطُرُقُهُ قِصَارٌ لَا تَسْتَتِمُّ بَلْ لَا تَبِينُ، وَإِنَّمَا هِيَ مُتَقَاطِعَةٌ مُتَدَاخِلَةٌ مُتَمَاوِجَةٌ، لَا يَكَادُ يَتَبَيَّنُ مِنْهَا طَرِيقٌ وَلَا يَقِفُ مِنْهَا عَلَىٰ سَبِيلٍ، تَشَابَهَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ، وَاخْتَلَطَتْ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، والطبراني في «الأوسط» (٨٨٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٩٨٥٨) وغيرهم عن أنس بن مالك. وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩٤٩)، ورواه أحمد (٢١٥٩٠)، وابن ماجه (٤١٠٥) وغيرهما عن زيد بن ثابت مطولا. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٠٥).

عَلَيْهِ الدُّرُوبُ، وَتَدَاخَلَتْ عِنْدَهُ الْخُطُوطُ، وَتَقَاطَعَتْ عِنْدَهُ الدَّوَائِرُ؛ لِأَنَّ شَمْلَهُ تَفَرَّقَ عَلَيْهِ، فَمَا مِنْ هَدَفٍ هَاهُنَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْعَىٰ إِلَيْهِ.

وَالْآخَرُ مُشَمِّرٌ قَدْ أَجْمَعَ أَمْرَهُ عَلَىٰ وِحْدَةِ قَصْدٍ لِهَدَفٍ مُحَدَّدٍ يَبْذُلُ لَهُ وُسْعَهُ، وَقَدْ آتَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْغِنَىٰ الْكَامِنِ فِي الصَّدْرِ الْمُسْتَقِرِّ فِي الْقَلْبِ مَا يَجْعَلُ أَمْرَهُ عَلَىٰ سَوَاءٍ.

وَأَمَّا هَذَا الَّذِي فِي الصُّورَةِ الْمُقَابِلَةِ لِكَيْ يُظْهِرَ مَا هُنَالِكَ مِنْ حُسْنٍ بَارِزٍ، وَمِنْ بَهْجَةٍ ظَاهِرَةٍ؛ فَهَذَا لَمَّا تَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلُهُ جَاءَ فَقْرُهُ فَسَكَنَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْهُ أَبَدًا، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لِكَيْ تَكُونَ الصُّورَةُ وَاضِحَةً فِي ذِهْنِ السَّامِعِ وَالْمُسْتَبْصِرِ يَأْتِي النَّبِيُّ ﷺ بِأَمْرَيْنِ:

فِي الصُّورَةِ الْأُولَىٰ: صُورَةِ الْمَجْمُوعِ الشَّمْلِ صَاحِبِ الْغِنَىٰ فِي الْقَلْبِ، تَأْتِيهِ الدُّنْيَا رَاغِمَةً، وَتَأَمَّلِ -الْآنَ- فِي صُورَةِ الدُّنْيَا الرَّاغِمَةِ آتِيَةً إِلَيْهِ قَدْ جُمِعَتْ بِحَذَافِيرِهَا تُسَاقُ -وَالسِّيَاطُ عَلَىٰ ظَهْرِهَا لَاهِبَةٌ، وَالسِّيَاطُ عَلَىٰ ظَهْرِهَا لَاسِعَةٌ- تُسَاقُ سَوْقًا إِلَيْهِ وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَهُوَ لَفْظُ نَبِيِّكِ ﷺ: «**وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**».

وَأَمَّا فِي الصُّورَةِ الْمُقَابِلَةِ: فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ**»؛ فَلِمَ الْعَنَاءُ إِذَنْ؟!! وَلِمَ بَذْلُ النَّفْسِ فِي غَيْرِ سَبِيلٍ، وَإِضَاعَةُ الْعُمُرِ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ؟!!

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا لِلْغُلَامِ -غُلَامِ وَفْدِ (تُوجِيبَا)-، يَقُولُ ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَمُوتَ جَمِيعًا**»؛ فَتَعَجَّبَ السَّامِعُ مِنْ قَوْلِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَوَلَيْسَ الرَّجُلُ يَمُوتُ جَمِيعًا؟!!»، وَهَلْ يَمُوتُ الرَّجُلُ تَبَاعِيضَ تَفَارِيقَ؟!! وَهَلْ يَمُوتُ الرَّجُلُ بِالتَّقْسِيطِ؟!! إِنَّ الرَّجُلَ يَمُوتُ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَمُوتَ جَمِيعًا**»؛ يَمُوتُ كُلُّهُ، لَا يَمُوتُ تَفَارِيقَ، وَلَا يَمُوتُ تَبَاعِيضَ، كَيْفَ؟!!

قال: «يَا رَسُولَ اللهِ! وَهَلْ يَمُوتُ الرَّجُلُ إِلَّا جَمِيعًا؟».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَشَعَّبُ بِهِ** -يَعْنِي: تَتَشَعَّبُ عَلَىٰ التَّسْهِيلِ، تَشَعَّبُ بِهِ أَهْوَاءُهُ وَمَذَاهِبُهُ وَرَغَابَتُهُ وَرَغَائِبُهُ- **تَشَعَّبُ بِهِ أَهْوَاءُهُ وَهُمُومُهُ** -هَذَا نَصُّهُ ﷺ- تَشَعَّبُ -أَيْ: تَتَشَعَّبُ- **بِهِ أَهْوَاءُهُ وَهُمُومُهُ، حَتَّىٰ يَصِيرَ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْهُ بَعْضٌ؛ فَلَا يُبَالِي اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِذَا أَتَتْهُ مَنِيَّتُهُ فِي أَيِّ تِلْكَ الْأَوْدِيَةِ هَلَكَ**».

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَه رَحِمَهُ اللهُ يَرْفَعُهُ بِسَنَدِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ -وَهُوَ سَنَدٌ حَسَنٌ-، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا** -يَعْنِي: هَمَّ الْمَعَادِ، هَمَّ الْآخِرَةِ، هَمَّ الْبَاقِيَةِ- **مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُ** -كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا-، **وَأَمَّا مَنْ تَوَزَّعَتْهُ هُمُومُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ** -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- **فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ**»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٧٤٤) وغيرهما عن ابن مسعود. وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٦٣).

النَّبِيُّ ﷺ يَشْرَحُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا اسْتَشْكَلَهُ الصَّحَابِيُّ هُنَالِكَ عِنْدَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَمُوتَ جَمِيعًا**»، مَطْلَبٌ عَزِيزٌ جِدًّا أَنْ يَمُوتَ الْمَرْءُ جَمِيعًا مَجْمُوعَ الْهِمَّةِ، مَجْمُوعَ الْقَلْبِ، مَجْمُوعَ الْقَصْدِ، مَجْمُوعَ الْعَزِيمَةِ، مُوَحَّدَ الْإِرَادَةِ، غَيْرَ مُشَتَّتٍ فِي أَحْوَالِهِ وَلَا فِي حَالَاتِهِ، وَلَا فِي عَزْمِهِ وَلَا فِي عَزَائِمِهِ، وَإِنَّمَا عَرَفَ طَرِيقَهُ فَسَلَكَ، وَعَرَفَ النَّجَاةَ، وَعَرَفَ النَّارَ وَفِيهَا مَا فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ مَنْ وَاقَعَهَا هَلَكَ، فَلَمَّا عَرَفَ ذَلِكَ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ؛ وَحَّدَ الْقَصْدَ وَوَحَّدَ الْإِرَادَةَ، وَجَاءَ الْأَمْرُ مَجْمُوعًا فِي قَلْبِهِ بِغِنًى مُتَفَرِّدٍ مُتَأَلِّقٍ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَة: «حَقِيقَةُ الدُّنْيَا».

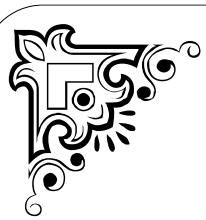

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ السُّبُلِ لِلْوُصُولِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَالْقَدَرُ هُوَ تَقْدِيرُ اللهِ -تَعَالَىٰ- لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ حُدُوثِهَا تَقْدِيرًا يُوَافِقُ عِلْمَهُ وَكِتَابَتَهُ كَمًّا، وَكَيْفًا، وَزَمَانًا، وَمَكَانًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وَلِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ، مِنْهَا: الطُّمَأْنِينَةُ وَالرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ أَقْدَارِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، فَلَا يَقْلَقُ بِفَوَاتِ مَحْبُوبٍ، أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢- ٢٣].

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الزُّهْدِ، ١٣، رَقْمُ ٢٩٩٩)، مِنْ حَدِيثِ: صُهَيْبٍ رضي الله عنه.

فَالْمُؤْمِنُ يَرَىٰ ذَلِكَ فِي كُلِّ حِينٍ وَحَالٍ، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، فَيَبُوءُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ شَاكِرًا رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَإِذَا وَقَعَ فِي ذَنْبٍ اسْتَغْفَرَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَمْ يَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ.

وَإِنَّمَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، لَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ.

أَمَّا عِنْدَ الذَّنْبِ وَعِنْدَ الْمَعْصِيَةِ؛ فَالِاسْتِغْفَارُ وَالتَّوْبَةُ وَالْخُشُوعُ وَالْإِنَابَةُ وَالْعَوْدَةُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ.

يَحْتَجُّ الْعَبْدُ بِالْقَدَرِ عِنْدَ وُقُوعِهِ فِي الْمَعَاصِي، هَذَا لَيْسَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَكِنْ يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ وُقُوعِ الْمُصِيبَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢- ٢٣].

فَإِذَا وَقَعَ عَلَىٰ الْعَبْدِ مَا يَكْرَهُهُ مِنَ الْأَقْدَارِ غَيْرِ الْمُوَاتِيَةِ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَفْزَعُ إِلَىٰ رَبِّهِ حَامِدًا، وَشَاكِرًا، وَمُنِيبًا، وَمُخْبِتًا، وَخَاشِعًا، وَيَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُعَوِّضَهُ خَيْرًا فِيمَا أَصَابَهُ بِهِ، وَأَنْ يُثَبِّتَهُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ الْحَقِّ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ) - الْخَمِيسُ ١٤ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ٢١-٢-٢٠٠٨م.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**»(١). (*).

❀❀❀

(١) أخرجه أبو داود: (٤/ ٢٢٥، رقم ٤٦٩٩)، وابن ماجه: (١/ ٢٩ - ٣٠، رقم ٧٧)، من حديث: أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رضي الله عنه.

والحديث صحح إسناده الألباني في هامش «**المشكاة**»: (١/ ٤١، رقم ١١٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ» (الْحَدِيثُ التَّاسِعَ عَشَرَ) - الْأَرْبِعَاءُ ٢٣ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٢٧-١١-٢٠١٣م.

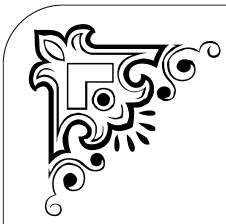

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ

مِنْ أَعْظَمِ السُّبُلِ الْمُوصِلَةِ لِلسَّلَامِ النَّفْسِيِّ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ: هُوَ صِدْقُ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا فِي اسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكِلَةُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ، وَتَحْقِيقُ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ لَا يُعْطِي وَلَا يَمْنَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ سِوَاهُ.(*).

التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ: الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- كِفَايَةً وَحَسَبًا فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ فِي اعْتِمَادِهِ عَلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ كَفَاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مَا أَهَمَّهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾؛ أَيْ: كَافِيهِ، ثُمَّ طَمْأَنَ الْمُتَوَكِّلَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣]، فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «التَّوَكُّلُ حَقِيقَتُهُ وَآثَارُهُ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٨هـ| ١٠-٢-٢٠١٧م.

فَحَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ: أَنْ يَعْتَمِدَ الْعَبْدُ عَلَىٰ اللهِ ﷻ اعْتِمَادًا صَادِقًا فِي مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، مَعَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ الْمَأْذُونِ فِيهَا، هَذِهِ حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ.

وَأَمَّا تَرْكُ الْأَسْبَابِ؛ فَذَلِكَ طَعْنٌ فِي الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَتْ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، وَكَذَلِكَ الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ الْأَسْبَابِ شِرْكٌ.

فَالتَّوَكُّلُ اعْتِقَادٌ وَاعْتِمَادٌ وَعَمَلٌ؛ تَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ كَافِيكَ وَرَاعِيكَ، وَأَنَّهُ كَالِئُكَ، فَهَذَا اعْتِقَادٌ، وَاعْتِمَادٌ: بِالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَعَمَلٌ؛ أَيْ: أَخْذٌ بِالْأَسْبَابِ.(*).

التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ مَطْلُوبٌ فِي كُلِّ شُؤُونِ الْحَيَاةِ؛ بَيْدَ أَنَّ هُنَاكَ مَوَاطِنَ كَثِيرَةً وَرَدَ فِيهَا الْحَضُّ عَلَىٰ التَّوَكُّلِ وَالْأَمْرُ بِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، **وَمِنْ ذَلِكَ**:

*** إِذَا وَصَلَتْ قَوَافِلُ الْقَضَاءِ؛ فَاسْتَقْبِلْهَا بِالتَّوَكُّلِ**: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

*** وَإِذَا نَصَبَتِ الْأَعْدَاءُ حِبَالَاتِ الْمَكْرِ؛ فَادْخُلْ أَنْتَ فِي أَرْضِ التَّوَكُّلِ**: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: ٧١].

*** إِذَا خَشِيتَ بَأْسَ أَعْدَاءِ اللهِ وَالشَّيْطَانِ وَالْغَدَّارِ وَالْمَكَّارِ؛ فَلَا تَلْتَجِئْ إِلَّا إِلَىٰ بَابِ اللهِ**: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» - السَّبْتُ ٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ١٦-٢-٢٠٠٨م.

*** إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَكِيلَكَ فِي كُلِّ حَالٍ؛ فَتَمَسَّكْ بِالتَّوَكُّلِ فِي كُلِّ حَالٍ:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١](*).

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَتَىٰ اعْتَمَدَ الْقَلْبُ عَلَىٰ اللهِ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَسْتَسْلِمْ لِلْأَوْهَامِ، وَلَا مَلَكَتْهُ الْخَيَالَاتُ السَّيِّئَةُ، وَوَثَقَ بِاللهِ وَطَمِعَ فِي فَضْلِهِ؛ انْدَفَعَتْ عَنْهُ بِذَلِكَ الْهُمُومُ وَالْغُمُومُ، وَزَالَتْ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَسْقَامِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْقَلْبِيَّةِ، وَحَصَلَ لِلْقَلْبِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالِانْشِرَاحِ وَالسُّرُورِ مَا لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ»(٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «التَّوَكُّلُ حَقِيقَتُهُ وَآثَارُهُ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٨هـ| ١٠-٢-٢٠١٧م.

(٢) «الوسائل المفيدة» للشيخ السعدي (ص٢٦).

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ:
الرِّضَا بِرِزْقِ اللهِ

إِنَّ مِنَ الْوَسَائِلِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي تُعِينُ الْمُسْلِمَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ نَفْسِهِ: الْإِيمَانَ بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ، وَالْقَنَاعَةَ بِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

«جَمِيعُ مَا دَبَّ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ آدَمِيٍّ وَحَيَوَانٍ بَرِّيٍّ أَوْ بَحْرِيٍّ، فَاللهُ تَعَالَىٰ قَدْ تَكَفَّلَ بِأَرْزَاقِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ، فَرِزْقُهُمْ عَلَىٰ اللهِ»(١).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخطَّابِ رضي الله عنه فِيمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمُ اللهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بِطَانًا**»(٢).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَاعِدَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ فِي أَصْلِ هَذَا الدِّينِ:

* **الْأُولَىٰ**: هِيَ قَاعِدَةُ التَّوَكُّلِ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٣٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٢٠٥) واللفظ له، وصححه الألباني في «تخريج مشكاة المصابيح» (٥٢٢٩).

* **وَالثَّانِيَةُ**: قَاعِدَةُ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

وَالْحَدِيثُ يُفْهَمُ فَهْمًا مَضْبُوطًا، وَلَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي فَهْمِهِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْمَغْلُوطِ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ بِنَفْسِهِ فِيهِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ وُجُوبِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، فَإِنَّ الطَّيْرَ فِي الْوُكُنَاتِ وَفِي الْأَعْشَاشِ لَا تَبْقَىٰ فِي أَعْشَاشِهَا، وَإِنَّمَا تُبَكِّرُ فِي الذَّهَابِ لِالْتِقَاطِ رِزْقِهَا.

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمُ اللهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو**...»: وَالْغُدُوُّ: هُوَ الْخُرُوجُ فِي بُكْرَةِ النَّهَارِ، فَتَغْدُو هَذِهِ الطُّيُورُ مِنْ أَعْشَاشِهَا وَوُكُنَاتِهَا مِنْ أَجْلِ الْتِقَاطِ رِزقِهَا، مُبَكِّرَةً مَعَ خُيُوطِ الْفَجْرِ الْأَوَّلِ، سَاعِيَةً فِي أَرْضِ اللهِ، لَكِنَّهَا لَا تَحْمَلُ لِرِزْقِهَا هَمًّا، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَرْزُقُهَا كَمَا رَزَقَهَا الْحَيَاةَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْيَا أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ رِزْقٍ.

وَالْحَيَاةُ وَالْأَجَلُ يَرْتَبِطَانِ بِالرِّزْقِ ارْتِبَاطًا مُبَاشَرًا، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يَحْيَا كَائِنٌ حَيٌّ بِغَيْرِ رِزْقٍ، يَقُولُ النَّاسُ: «فُلَانٌ حَيٌّ يُرْزَقُ»، وَلَنْ تَجِدَ أَبَدًا أَنَّ فُلَانًا حَيٌّ لَا يُرْزَقُ، فَارْتِبَاطُ الْأَجَلِ بِالرِّزْقِ أَمْرٌ حَتْمِيٌّ بِصَيْرُورَةٍ تَمْضِي إِلَىٰ الْمَوْتِ، وَحِينَئِذٍ لَا أَجَلَ وَلَا رِزْق.

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الطُّيُورَ تَغْدُو مُبَكِّرَةً مِنْ أَعْشَاشِهَا، تَطْلُبُ رِزْقَهَا، تَلْتَقِطُهُ فِي جَنَبَاتِ الْأَرْضِ، لَا تَحْمِلُ لَهُ هَمًّا، «**خِمَاصًا**»: جَمْعُ أَخْمَصٍ، وَهَذَهِ الْحَوَاصِلُ الْخُمْصُ قَدْ الْتَزَقَتْ لُحُومُهَا بِبَعْضِهَا، بِحَيْثُ

إِنَّهَا لَا تَحْوِي شَيْئًا، «**تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بِطَانًا**»: وَقَدْ امْتَلَأَتْ بُطُونُهَا وَحَوَاصِلُهَا، مِنْ أَيْنَ؟!!

مِنْ رِزْقِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.(*).

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يُبَاعِدُ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يُقَرِّبُ مِنْ رِزْقٍ أَلَّا يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ**»(٢).

النَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ أَنَّ الْأَمْرَيْنِ الَّذَيْنِ يَخْتَصِمُ بِسَبَبِهِمَا النَّاسُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.. يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْأَجَلَ وَالرِّزْقَ كُلٌّ ذَلِكَ مَسْطُورٌ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَزَلًا، لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَسُوقُ ذَلِكَ مَسَاقَهُ الَّذِي قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَزَلًا، لَا يُبَاعِدُ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يُدَانِي وَلَا يُقَرِّبُ مِنْ رِزْقٍ أَنْ يَحْتَاطَ النَّاسُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَلَا أَنْ يَحْذَرُوا، وَلَا أَنْ يَخَافُوا مِنْهُ وَلَا أَنْ يَرْهَبُوا، وَلَكِنْ كُلُّ ذَلِكَ قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَالْخَلْقُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «قَضِيَّةُ الرِّزْقِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٨هـ| ١٧-٢-٢٠١٧م.

(٢) أخرجه الترمذي: (٤/ ٤٨٣-٤٨٤، رقم ٢١٩١)، وابن ماجه: (٢/ ١٣٢٨، رقم ٤٠٠٧)، من حديث: أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وكذا صحيح لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/ ٤٧، رقم ٢٧٥١).

صَائِرُونَ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ: «**أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يُبَاعِدُ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يُقَرِّبُ مِنْ رِزْقٍ أَلَّا يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ**».

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا؛ فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»(١).

مَسْأَلَةُ الْأَجَلِ، وَمَسْأَلَةُ الْمَوْتِ، وَمَسْأَلَةُ الرِّزْقِ، وَمَسْأَلَةُ الطَّلَبِ؛ كُلُّ ذَلِكَ أَمْرٌ قَدْ قُدِّرَ أَزَلًا، وَالْمَرْءُ مَسُوقٌ إِلَيْهِ، كَمَا أَنَّهُ مَسُوقٌ إِلَىٰ حَتْفِهِ مَسُوقٌ إِلَىٰ رِزْقِهِ، وَكَمَا أَنَّ الرِّزْقَ يُسَاقُ إِلَيْهِ يَسْعَىٰ إِلَيْهِ أَجَلُهُ، وَلَا مَنْجَىٰ وَلَا مَهْرَبَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ!!(*).

مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ: التَّحَدُّثُ بِنِعَمِ اللهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَتَهَا وَالتَّحَدُّثَ بِهَا يَدْفَعُ اللهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ،

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٨/ ١٩٤، رقم ٧٦٩٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: (١٠/ ٢٦)، من حديث: أَبِي أُمَامَةَ.

والحديث صححه بشواهده الألباني في تخريج «مشكلة الفقر»: (ص ١٩ - ٢٠، رقم ١٥)، وفي «صحيح الجامع»: (١/ ٤١٩ - ٤٢٠، رقم ٢٠٨٥)، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، مرفوعا، بنحوه

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الصَّبْرُ عَلَىٰ الْبَلَاءِ».

وَيَحُثُّ الْعَبْدَ عَلَىٰ الشُّكْرِ الَّذِي هُوَ أَرْفَعُ الْمَرَاتِبِ وَأَعْلَاهَا حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ الْعَبْدُ فِي حَالَةِ فَقْرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَايَا، فَإِنَّهُ إِذَا قَابَلَ بَيْنَ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ الَّتِي لَا يُحْصَىٰ لَهَا عَدٌّ وَلَا حِسَابٌ، وَبَيْنَ مَا أَصَابَهُ مِنْ مَكْرُوهٍ؛ لَمْ يَكُنْ لِلْمَكْرُوهِ إِلَىٰ النِّعَمِ نِسْبَةٌ.

بَلِ الْمَكْرُوهُ وَالْمَصَائِبُ إِذَا ابْتَلَىٰ اللهُ بِهَا الْعَبْدَ، وَأَدَّىٰ فِيهَا وَظِيفَةَ الصَّبْرِ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ هَانَتْ وَطْأَتُهَا، وَخَفَّتْ مُؤْنَتُهَا، وَكَانَ تَأَمُّلُ الْعَبْدِ لِأَجْرِهَا وَثَوَابِهَا وَالتَّعَبُّدُ للهِ بِالْقِيَامِ بِوَظِيفَةِ الصَّبْرِ وَالرِّضَا، يَدَعُ الْأَشْيَاءَ الْمُرَّةَ حُلْوَةً، فَتُنْسِيهِ حَلَاوَةُ أَجْرِهَا مَرَارَةَ صَبْرِهَا.

وَمِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: اسْتِعْمَالُ مَا أَرْشَدَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ حَيْثُ قَالَ: «**انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**»(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ هَذَا الْمَلْحَظَ الْجَلِيلَ؛ رَآهُ يَفُوقُ جَمْعًا كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ فِي الْعَافِيَةِ وَتَوَابِعِهَا، وَفِي الرِّزْقِ وَتَوَابِعِهِ مَهْمَا بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ، فَيَزُولُ قَلَقُهُ وَهَمُّهُ وَغَمُّهُ، وَيَزْدَادُ سُرُورُهُ وَاغْتِبَاطُهُ بِنِعَمِ اللهِ الَّتِي فَاقَ فِيهَا غَيْرَهُ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٥)، ومسلم (٢٩٦٣).

وَكُلَّمَا طَالَ تَأَمُّلُ الْعَبْدِ بِنِعَمِ اللهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ؛ رَأَىٰ رَبَّهُ قَدْ أَعْطَاهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَدَفَعَ عَنْهُ شُرُورًا مُتَعَدِّدَةً، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا يَدْفَعُ الْهُمُومَ وَالْغُمُومَ، وَيُوجِبُ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ.(*).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! كُنْ وَرِعًا تَكُنْ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ مِنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ**»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ١٣-١١-٢٠١٣م.

(٢) أخرجه ابن ماجه والطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٣٣).

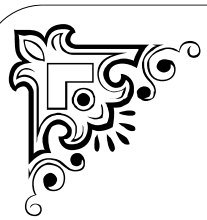

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: عَدَمُ الْخَوْفِ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْمُوجِبَةِ لِلسُّرُورِ وَزَوَالِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ: السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْهُمُومِ، وَفِي تَحْصِيلِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلسُّرُورِ، وَذَلِكَ بِنِسْيَانِ مَا مَضَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَكَارِهِ الَّتِي لَا يُمْكِنُهُ رَدَّهَا، وَمَعْرِفَتُهُ أَنَّ اشْتِغَالَ فِكْرِهِ فِيهَا مِنْ بَابِ الْعَبَثِ وَالْمُحَالِ، وَأَنَّ ذَلِكَ حُمْقٌ وَجُنُونٌ، فَيُجَاهِدُ قَلْبَهُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِيهَا، وَكَذَلِكَ يُجَاهِدُ قَلْبَهُ عَنْ قَلَقِهِ لِمَا يَسْتَقْبِلُهُ مِمَّا يَتَوَهَّمُهُ مِنْ فَقْرٍ أَوْ خَوْفٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمَكَارِهِ الَّتِي يَتَخَيَّلُهَا فِي مُسْتَقْبَلِ حَيَاتِهِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ الْأُمُورَ الْمُسْتَقْبَلَةَ مَجْهُولٌ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَآمَالٍ وَآلَامٍ، وَأَنَّهَا بِيَدِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، لَيْسَ بِيَدِ الْعِبَادِ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا السَّعْيُ فِي تَحْصِيلِ خَيْرَاتِهَا، وَدَفْعِ مَضَرَّاتِهَا.

وَيَعْلَمُ الْعَبْدُ أَنَّهُ إِذَا صَرَفَ فِكْرَهُ عَنْ قَلَقِهِ مِنْ أَجْلِ مُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِ، وَاتَّكَلَ عَلَىٰ رَبِّهِ فِي إِصْلَاحِهِ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ.. إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ وَصَلُحَتْ أَحْوَالُهُ، وَزَالَ عَنْهُ هَمُّهُ وَقَلَقُهُ.

وَمِنْ أَنْفَعِ مَا يَكُونُ فِي مُلَاحَظَةِ مُسْتَقْبَلِ الْأُمُورِ: اسْتِعْمَالُ هَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بِهِ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ**

لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٢). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَإِذَا لَهَجَ الْعَبْدُ بِهَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي فِيهِ صَلَاحُ مُسْتَقْبَلِهِ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ وَنِيَّةٍ صَادِقَةٍ، مَعَ اجْتِهَادِهِ فِيمَا يُحَقِّقُ ذَلِكَ؛ حَقَّقَ اللهُ لَهُ مَا دَعَاهُ وَرَجَاهُ وَعَمِلَ لَهُ، وَانْقَلَبَ هَمُّهُ فَرَحًا وَسُرُورًا.(*).

❀❀❀

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، وأحمد (٥/ ٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥٠٩٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ١٣-١١-٢٠١٣م.

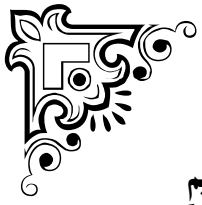
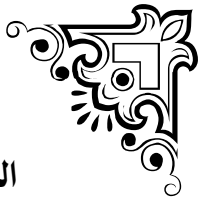

مِنْ وَسَائِلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ:
الدُّعَاءُ وَالِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

مِنْ سُبُلِ الْوُصُولِ إِلَى صَفَاءِ النَّفْسِ وَرَاحَةِ الْقَلْبِ وَالسَّلَامِ الذَّاتِيِّ: الدُّعَاءُ وَالِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ فَالدُّعَاءُ سِلَاحٌ عَظِيمٌ لِدَفْعِ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ عَنِ الْقَلْبِ؛ خَاصَّةً أَدْعِيَةُ دَفْعِ الْكَرْبِ وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨](*).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ(٣) أَمْرٌ؛ قَالَ: «**يَا حَيُّ! يَا قَيُّومُ! بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»(٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِن: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (الْمُحَاضَرَةُ الأُولَىٰ: مُقَدِّمَةُ الْمُصَنِّفِ)، الْأَحَدُ ١٩ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ| ١٠-٩-٢٠١٧م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٣٤٥، ٦٣٤٦، ٧٤٢٦، ٧٤٣١)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٣٠).

(٣) أَيْ: إِذَا نَزَلَ بِهِ مُهِمٌّ أَوْ أَصَابَهُ غَمٌّ، «النِّهَايَةُ» (حَزَبَ) (١/ ٣٧٧).

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٢٤)، بِلَفْظِ: «إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ»، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ السُّنِّيِّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٣٣٧)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

=

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ -أَوْ فِي الْكَرْبِ-؟ اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١). (*).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ؛ مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**»(٣). الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ.(*/٢).

هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي دَعَا بِهَا يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ؛ فَرَّجَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُ بِهَا.

وَكَذَلِكَ يُفَرِّجُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ؛ حَتَّىٰ إِنَّ الْإِنْسَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَىٰ هَذِهِ الدَّعْوَةِ عِنْدَ الْكَرْبِ الْتِفَاتًا خَاصًّا؛ فَإِنَّهُ إِذَا دَعَا بِهَا، ثُمَّ لَمْ يُفَرَّجْ

=

وَحَسَّنَهُ لِشَاهِدِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي تَخْرِيجِ «الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (تَعْلِيقٌ ٨٧).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٥٢٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (٣٨٨٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ (تَعْلِيقٌ ٨٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: فَصْلٌ: فِي الْكَرْبِ وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ)، الْخَمِيسُ ١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ| ٥-١٠-٢٠١٧م.

(٣) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: (٥/ ٥٢٩، رقم ٣٥٠٥)، من حديث: سَعْدِ بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٢٨٢ و٣٦٣، رقم ١٦٤٤ و١٨٢٦).

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - الْمُحَاضَرَة ١٦ - الِاثْنَيْن ٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٧-١٠-٢٠١٣م.

عَنْهُ، وَلَمْ يُنَجِّهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقِفَ طَوِيلًا مَعَ إِيمَانِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ نَجَاةَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَخَذُوا بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ الصَّالِحَةِ الْمُبَارَكَةِ؛ جَعَلَ هَذِهِ النَّجَاةَ كَنَجَاةِ يُونُسَ عليه السلام لَمَّا دَعَا بِهَا وَهُوَ فِي بَاطِنِ الْحُوتِ.(*).

وَالِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ وَمِنْ إِدْخَالِهِ الْحُزْنَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ الْهُدُوءِ الرُّوحِيِّ وَالسَّلَامِ النَّفْسِيِّ، قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].

«إِنَّمَا التَّحَدُّثُ خُفْيَةً بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، فَهُوَ الْمُزَيِّنُ لَهَا وَالْحَامِلُ عَلَيْهَا؛ لِيُدْخِلَ الْحُزْنَ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَإِرَادَتِهِ، وَعَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ فَلْيَعْتَمِدِ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ»(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

«أَيْ: أَيُّ وَقْتٍ، وَفِي أَيِّ حَالٍ ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أَيْ: تُحِسُّ مِنْهُ بِوَسْوَسَةٍ، وَتَثْبِيطٍ عَنِ الْخَيْرِ، أَوْ حَثٍّ عَلَىٰ الشَّرِّ، وَإِيعَازٍ إِلَيْهِ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - الْمُحَاضَرَة ١٦ - الِاثْنَيْن ٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٧-١٠-٢٠١٣م.

(٢) «التفسير الميسر» (٥٤٣).

أَيِ: الْتَجِئْ وَاعْتَصِمْ بِاللهِ، وَاحْتَمِ بِحِمَاهُ فَإِنَّهُ ﴿سَمِيعٌ﴾ لِمَا تَقُولُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِنِيَّتِكَ وَضَعْفِكَ، وَقُوَّةِ الْتِجَائِكَ لَهُ، فَسَيَحْمِيكَ مِنْ فِتْنَتِهِ، وَيَقِيكَ مِنْ وَسْوَسَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ»[١].

❊❊❊

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣١٣).

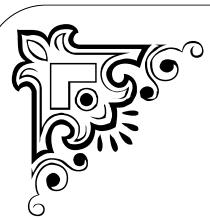

مِنْ سُبُلِ الْوُصُولِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الصَّدَقَاتُ

مِنَ السُّبُلِ الْعَظِيمَةِ لِتَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: الْبَذْلُ وَالْإِحْسَانُ وَالصَّدَقَاتُ؛ فَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ: «الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْخَلْقِ، وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَالنَّفْعِ بِالْبَدَنِ، وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ.

فَإِنَّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا، وَأَعْظَمُهُمْ هَمًّا وَغَمًّا.

وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَارِبًا المَثَلَ لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1]-: «**كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا هَمَّ الْمُتَصَدِّقُ بِصَدَقَةٍ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ وَانْبَسَطَتْ؛ حَتَّىٰ يَجُرَّ ثِيَابَهُ وَيُعْفِيَ أَثَرَهُ، وَكُلَّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ لَزِمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، وَلَمْ تَتَّسِعْ عَلَيْهِ**». فَهَذَا مَثَلُ

---

(١) «**صحيح البخاري**»: ٣/ ٣٠٥، رقم (١٤٤٣)، و«**صحيح مسلم**»: ٢/ ٧٠٨ و ٧٠٩، رقم (١٠٢١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

انْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَصَدِّقِ، وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ، وَمَثَلُ ضِيقِ صَدْرِ الْبَخِيلِ، وَانْحِصَارِ قَلْبِهِ»[١].[*].

٭٭٭

(١) «زاد المعاد»: ٢/ ٢٤ و ٢٥.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَا تَحْزَنْ!» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣هـ| ١٦-١٢-٢٠١٢م.

مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ السَّلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ

إِنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّوَادِّ وَالتَّحَابِّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُسْلِمُوا، وَلَا تُسْلِمُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، وَأَفْشُوا السَّلَامَ تَحَابُّوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْبُغْضَةَ؛ فَإِنَّهَا هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ لَكُمْ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ».

«**وَلَا تُسْلِمُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا**»: أَيْ: لَا يَكْمُلُ إِسْلَامُكُمْ إِلَّا بِالتَّحَابِّ.

النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُعَلِّقُ الْإِيمَانَ عَلَىٰ الْمَحَبَّةِ فِي اللهِ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُسْلِمُوا، وَلَا تُسْلِمُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا**».

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَىٰ إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَبَذْلِهِ، وَأَنَّ بَذْلَ السَّلَامِ فِيهِ رَفْعُ التَّقَاطُعِ وَالتَّهَاجُرِ، وَفِيهِ اسْتِجْلَابُ الْمَوَدَّةِ، وَفِيهِ تَمْكِينُ الْأُلْفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّىٰ تَتَمَكَّنَ الْمَحَبَّةُ فِي قُلُوبِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ**» (٢٦٠)، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ**» (١٩٣).

فَأَرْشَدَنَا الرَّسُولُ ﷺ إِلَىٰ هَذَا الْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ الْجَسِيمِ.. أَرْشَدَنَا إِلَىٰ الْوُصُولِ إِلَيْهِ مِنْ أَقْرَبِ طَرِيقٍ.

وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ تَأَمَّلَ هَذَا الْحَدِيثَ الْجَلِيلَ لَعَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ يَسَّرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- تَيْسِيرًا عَظِيمًا؛ لِأَنَّ السَّلَامَ لَا يُكَلِّفُ الْمَرْءَ شَيْئًا.(*).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا**»(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ».

«**أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا**»: تَسْلَمُوا مِنَ التَّنَافُرِ وَالتَّقَاطُعِ، وَتَدُومُ لَكُمُ الْمَوَدَّةُ، وَتَزُولُ الْإِحَنُ وَالْبَغْضَاءُ مِنْ بَيْنِكُمْ.

«**أَفْشُوا السَّلَامَ**» أَيِ: انْشُرُوا وَأَذِيعُوا وَأَكْثِرُوا مِنْهُ؛ بِأَنْ تُسَلِّمُوا عَلَىٰ مَنْ تَرَوْنَهُمْ تَعْرِفُونَهُمْ أَوْ لَا تَعْرِفُونَهُمْ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ أَسْبَابِ التَّآلُفِ، وَهُوَ مِفْتَاحُ اسْتِجْلَابِ التَّوَدُّدِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ رِيَاضَةِ النَّفْسِ وَلُزُومِ التَّوَاضُعِ، وَإِعْظَامِ حُرُمَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَرَفْعِ التَّقَاطُعِ.

فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ السَّلَامَ يَبْعَثُ عَلَىٰ التَّحَابُبِ وَيَنْفِي التَّقَاطُعَ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ١١٣٦-١١٤٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ**» (٧٨٧)، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**» (١٤٩٣).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٣٣٣٣-٣٣٣٦).

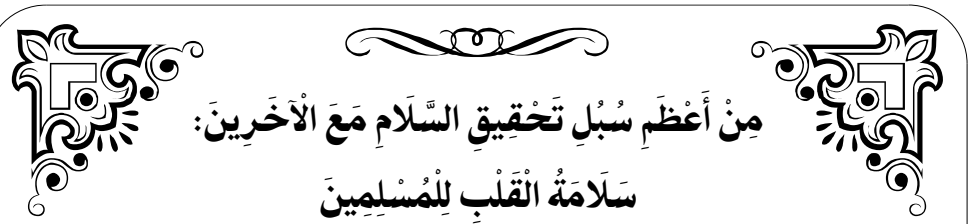

مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ الْآخَرِينَ: سَلَامَةُ الْقَلْبِ لِلْمُسْلِمِينَ

اعْلَمُوا -عِبَادَ اللهِ- أَنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ سَلَامَةُ الصَّدْرِ مِنَ الشَّحْنَاءِ..

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ سَلَامَةُ الصُّدُورِ، وَسَخَاوَةُ النَّفْسِ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْأُمَّةِ، وَبِهَذِهِ الْخِصَالِ بَلَغَ الذُّرَىٰ مَنْ بَلَغَ.

سَلَامَةُ الصَّدْرِ، سَخَاوَةُ النَّفْسِ، النَّصِيحَةُ لِلْأُمَّةِ، وَبَذْلُ النَّفْسِ لِلْمُسْلِمِينَ كَمَا كَانَ نَبِيُّنَا الْأَمِينُ ﷺ، كَانَ فِي حَاجَةِ الْمَرْأَةِ الْمِسْكِينَةِ وَالضَّعِيفِ، كَانَ فِي حَاجَةِ الْكَسِيرِ، كَانَ فِي حَاجَةِ الْحَسِيرِ، كَانَ فِي حَاجَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُعْوِزِينَ، كَانَ فِي حَاجَةِ الثَّكَالَىٰ وَالْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ، يَبْذُلُ نَفْسَهُ، وَتَأْخُذُ الْجَارِيَةُ بِكُمِّهِ بِيَدِهِ، تَسِيرُ مَعَهُ فِي أَيِّ طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ شَاءَتْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ حَاجَتَهَا ﷺ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا حَكَتْ عَائِشَةُ، وَلَمْ تَبْلُغْ بِهِ السُّنُونُ مَبَالِغَهَا؛ فَإِنَّهُ ﷺ قَبَضَهُ رَبُّهُ إِلَيْهِ وَشَيْبُهُ مَعْدُودٌ، شَيَّبَتْهُ هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا؛ خَوْفًا مِنَ اللهِ وَقِيَامًا بِأَمْرِ اللهِ، وَوَصَفَتْهُ عَائِشَةُ مَعَ ذَلِكَ: وَمَا عَلَتْ بِهِ السُّنُونُ، قَالَتْ لَمَّا كَانَ قَدْ أَصَابَهُ وَذَلِكَ حِينَ حَطَمَهُ النَّاسُ، حَطَمَهُ النَّاسُ فِي بِدَايَةِ الْأَمْرِ بِكُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَطُغْيَانِهِمْ وَجَبَرُوتِهِمْ، وَصِرَاعِهِمْ مَعَ الْحَقِّ، وَمُحَاوَلَاتِهِمْ لِطَمْسِ نُورِهِ، وَتَحَمَّلَ

مَا تَحَمَّلَ رَاضِيًا فِي ذَاتِ اللهِ ﷺ؛ حَتَّىٰ أُخْرِجَ مِنْ بَلَدِهِ وَمِنْ دَارِهِ، مِنْ بَلَدِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ وَهُوَ أَوْلَىٰ الْخَلْقِ بِهِ.

وَحُرِمَ مِنْ جِوَارِ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، وَمِنَ السُّجُودِ عِنْدَهُ تَبَتُّلًا للهِ جَلَّوَعَلَا، وَصُدَّ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَهُوَ أَوْلَىٰ الْخَلْقِ بِهِ، وَكَانَ قَدْ جَاءَهُ فِي نُسُكٍ مُحْرِمًا مُعْتَمِرًا قَدْ سَاقَ الْهَدْيَ، فَحُبِسَ الْهَدْيُ فِي مَحِلِّهِ حَتَّىٰ أَكَلَ وَبَرَهُ، وَقَدْ خُلِّدَ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ مَا جَاءَ لِحَرْبٍ، فَصُدَّ وَمَنْ مَعَهُ عَنِ البَيْتِ الْحَرَامِ، وَقَدْ بَنَاهُ أَبُوهُ وَجَدُّهُ، بَنَاهُ إِسْمَاعِيلُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ، حِينَ حَطَمَهُ النَّاسُ بِكَيْدِهِمُ الرَّخِيصِ، بِتَصَوُّرَاتِهِمُ الْهَزِيلَةِ، بِنَزَوَاتِهِمُ الْوَضِيعَةِ، وَعَدَمِ فَهْمِهِمْ، وَسُوءِ قَصْدِهِمْ، وَعَدَمِ إِلْمَامِهِمْ بِجَنَبَاتِ نُفُوسِهِمْ فِي اتِّسَاعِ أُفُقِهَا الْوَضِيءِ، بِوُقُوفِهِمْ عِنْدَ حُدُودِ رَغَبَاتِهِمْ وَكَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، مَعَ اتِّبَاعِهِمْ لِشَيَاطِينِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَالنَّبِيُّ يُصَارِعُ ذَلِكَ كُلَّهُ، يَتَحَمَّلُ الْأَذَىٰ فِيهِ وَالْمَكْرُوهَ، رَاضِيًا عَنْ رَبِّهِ جَلَّوَعَلَا، يَتَحَمَّلُ ذَلِكَ فِي ذَاتِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ، وَأَعَزَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جُنْدَهُ وَنَصَرَهُمْ، وَأَعْلَىٰ شَأْنَهُمْ، وَفَتَحَ لَهُمُ الْبِلَادَ وَقُلُوبَ الْعِبَادِ، وَمَكَّنَ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَمِنْ رِقَابِ الْخَلْقِ، فَسَارُوا فِي ذَلِكَ سِيرَةَ الْحَقِّ، وَلَمْ يَظْلِمُوا وَلَمْ يَحِيفُوا، وَكَانَ مَا كَانَ، وَوَقَعَتْ أُمُورٌ، وَكَانَ فِي حَاجَةِ إِخْوَانِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكَانَ دَاعِيًا إِلَىٰ رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ؛ فِي حَرْبِهِ وَسِلْمِهِ، فِي قِيَامِهِ وَقُعُودِهِ وَعلَىٰ جَنْبٍ ﷺ؛ لِأَنَّهُ بُعِثَ مُعَلِّمًا.

كَانَ ﷺ دَاعِيًا إِلَىٰ رَبِّهِ فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ، فِي قِيَامِهِ وَفِي ظَعْنِهِ، كَانَ ﷺ دَاعِيًا إِلَىٰ رَبِّهِ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ، فِي ضَحِكِهِ وَبُكَائِهِ، فِي مُعَامَلَةِ الْعَدُوِّ وَالصَّدِيقِ، وَفِي مُعَامَلَةِ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَفِي مُعَامَلَةِ الْكُفَّارِ الْأَصْلِيِّينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ.

كَانَ يَقْضِي حَاجَاتِ الْخَلْقِ، وَذَلِكَ حِينَ حَطَمَهُ النَّاسُ، تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «بَذَلَ نَفْسَهُ، وَلَمْ يَبْخَلْ بِشَيْءٍ -حَاشَاهُ- ﷺ»(١).

سَخَاوَةُ النَّفْسِ، وَسَلَامَةُ الصَّدْرِ، وَنَصِيحَةُ الْمُسْلِمِينَ بِهَا مَنْ بَلَغَ الْمَبَالِغَ وَعَلَا الذُّرَىٰ، فَلَا يَقْطَعُ الْمَفَازَةَ إِلَّا الرِّجَالُ، وَمَا يَسْتَطِيعُهُ الرَّجُلُ لَا يَقْوَىٰ عَلَيْهِ الطِّفْلُ حَتَّىٰ يَصِيرَ رَجُلًا؛ فَانْظُرْ -هَدَاكَ اللهُ- أَيْنَ مَحَلُّكَ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

اتَّقُوا الشَّحْنَاءَ، وَيَا مَنْ أَضْمَرَ لِأَخِيهِ السُّوءَ وَبَيَّتَ لَهُ الْإِضْرَارَ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

يَا مَنْ أَضْمَرَ السُّوءَ، وَبَيَّتَ الْمَكِيدَةَ؛ اتَّقِ اللهَ رَبَّكَ، وَنَظِّفْ قَلْبَكَ وَضَمِيرَكَ، وَالْحَيَاةُ مُنْقَضِيَةٌ وَفَانِيَةٌ!(*).

---

(١) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ (٧٣٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ: «نَعَمْ، بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «لَا تَظْلِمْ فِيهِ نَفْسَكَ» - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ رَجَب ١٤٣٠هـ الْمُوَافِقُ ٢٦-٦-٢٠٠٩م.

فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَه»(١): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ؟

فقال ﷺ: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ** -كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ هَذَا أَفْضَلُ النَّاسِ-».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، صَدُوقُ اللِّسَانِ عَرَفْنَاهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الَّذِي لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ فِيهِ وَلَا حَسَدَ**».

فَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا سَلَامَةُ الصَّدْرِ وَمَنْ كَانَ عَنِ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ مُنَزَّهًا، وَمِنْ ذَلِكَ مُبَرَّءًا.(*).

إِنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- ذَكَرَ الْقَلْبَ السَّلِيمَ فِي الْقُرْآنِ مَرَّتَيْنِ؛ عِنْدَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ دَاعِيًا رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩].

---

(١) «**صحيح سنن ابن ماجه**» للألباني: ٣/ ٣٧٣، رقم (٣٤١٦)، وأخرجه ابن ماجه في «**السنن**»: ٢/ ١٤٠٩ و١٤٢٠، رقم (٤٢١٦)، وانظر: «**الصحيحة**»: ٢/ ٦٣٢، رقم (٩٤٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَا صَحَّ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٥هـ| ٢٤-٩-٢٠٠٤م.

إِبْرَاهِيمُ -وَهُوَ مَنْ هُوَ عِنْدَ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبُو الْحُنَفَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِبْرَاهِيمُ يَعْلَمُ قِيمَةَ الْخِزْيِ فِي الْمُقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْقِيَمَ الزَّائِفَةَ، وَأَنَّ الِانْحِرَافَاتِ الْمُغْرِضَةَ، وَأَنَّ مَا يَتَوَاضَعُ عَلَيْهِ النَّاسُ مِمَّا لَا قِيمَةَ لَهُ عِنْدَ رَبِّ النَّاسِ؛ كُلُّ ذَلِكَ زَائِلٌ هُنَاكَ إِذَا مَا صُفَّتِ الْأَقْدَامُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِيكِ الْعَلَّامِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.. فِي يَوْمِ الزِّحَامِ.

إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَضْرَعُ إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾.

إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْلَمُ أَنَّ الْقِيَمَ جَمِيعَهَا زَائِلَةٌ، لَا اسْتِقْرَارَ لَهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِسَبَبٍ، وَإِلَّا مَا كَانَ مَوْصُولًا بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَعُرْوَتُهُ وُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَأَمَّا مَا دُونَ ذَلِكَ فَزَائِلٌ زَائِلٌ وَبَاطِلٌ بَاطِلٌ، لَا قِيمَةَ لَهُ وَلَا اسْتِقْرَارَ لَهُ.

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ وَلَوْ كَانَ مَالًا مِنْ حَلَالٍ أُنْفِقَ فِي حَلَالٍ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِلَّا أَنْ يَكُونَ الْبَنُونَ مُخْلَصِينَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ جَاءَ رَبَّهُ بِالْقَلْبِ السَّلِيمِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ أَخْبَرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ جَاءَ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِقَلْبٍ سَلِيمٍ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا ذَكَرَ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَحَكَىٰ قِصَّتَهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ وَأَرْدَفَهُ بِذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[الصافات: ٨٣- ٨٤]؛ إِنَّ مِنْ شِيعَةِ نُوحٍ عليه السلام.. عَلَىٰ مَنْهَجِهِ فِي صَلَابَةِ التَّوْحِيدِ، وَفِي قُوَّةِ التَّمَسُّكِ بِالدِّينِ الْمَجِيدِ، وَفِي الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَلَقِّيًا وَعَمَلًا وَأَدَاءً لِخَلْقِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ مِنْ شِيعَةِ نُوحٍ فِي أُصُولِ الدِّينِ، فِي التَّوْحِيدِ، فِي أَصْلِ الدِّينِ الْمَجِيدِ، فِي أَصْلِ الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِ الَّذِي مَا جَاءَ نَبِيٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَّا وَقَدْ جَاءَ بِهِ، كُلُّهُمْ يَأْمُرُ قَوْمَهُ أَنَّهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

وَانْظُرْ فِي هَذَا التَّرْتِيبِ فِي النَّظْمِ الْقُرْآنِيِّ الْمَجِيدِ؛ إِذْ يَذْكُرُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَدْ جَاءَ رَبَّهُ -يَعْنِي: جَاءَ إِلَىٰ رَبِّهِ- كَأَنَّمَا يَحْمِلُ قَلْبَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، جَاءَ رَبَّهُ بِهَدِيَّةٍ يُهْدِيهَا إِلَيْهِ، وَيُلْقِيهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمَجِيدِ ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، وَلَمْ يَقُلِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: جَاءَ رَبَّهُ سَلِيمَ الْقَلْبِ، فَشَتَّانَ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا فِي اللَّفْظِ وَفِي التَّرْكِيبِ وَفِي الْمَعْنَىٰ عَلَىٰ السَّوَاءِ، ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ سَالِمٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلَا يَنْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا الْقَلْبُ الَّذِي جَاءَ سَالِمًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ؛ إِلَّا الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَعْبُدُهُ، وَأَنَّ لَهُ أَوَامِرَ يَقِفُ عِنْدَهَا عَامِلًا، وَلَهُ نَوَاهٍ يَقِفُ عِنْدَهَا مُنْزَجِرًا.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يَقْبَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا الْقَلْبَ السَّلِيمَ الَّذِي سَلِمَ مِنْ مَرَضِ الشُّبْهَةِ، وَمِنْ مَرَضِ الشَّهْوَةِ، مِنْ مَرَضِ الشُّبْهَةِ يَعْرِضُ لِلْقَلْبِ، فَيَجْعَلُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ حِجَابًا مِنَ الشَّكِّ، وَمِنَ الْقَلَقِ، وَمِنَ الْحَيْرَةِ، وَمِنَ الْمُرَاجَعَةِ، وَمِنْ عَدَمِ التَّسْلِيمِ، مَرَضُ الشُّبْهَةِ زَائِلٌ هَاهُنَا، عُوفِيَ مِنْهُ الْقَلْبُ السَّلِيمُ.

وَمَرَضُ الشَّهْوَةِ؛ فَلَا أَمْرَ لَهُ مَعَ أَمْرِ اللهِ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ إِرَادَةٍ مَعَ إِرَادَةِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، وَإِنَّمَا هُوَ مُطِيعٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا شُبْهَةَ فِي قَلْبِهِ وَلَا شَهْوَةَ، وَإِنَّمَا تَسْلِيمُ الْقَلْبِ وَالْقَالَبِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ»، وَتَكَلَّمَ عَنْهُ كَلَامًا يُوحِي بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ فِيهِ ضَعْفٌ؛ لِأَنَّ إِسْنَادَهُ عِنْدَهُ فِيهِ رَجُلٌ مَجْهُولٌ، وَأَمَّا هُوَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ فَبِإِسْنَادٍ حَسَنٍ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ شَاكِرٌ رَحِمَهُ اللهُ، يَقُولُ: «وَأَقَلُّ دَرَجَتِهِ أَنَّهُ حَسَنٌ»؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يُبْلِغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابٌ فِي رَفْعِ الْحَدِيثِ مِنَ الْمَجْلِسِ، (٤٨٦٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ: بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، (٣٨٩٦).

وَالْحَدِيث حَسَّنَهُ أحمد شاكر فِي هَامِشِ «**مسند أحمد**»: (٤/ ٢٠، رقم ٣٧٥٩).

وَهُوَ كَذَلِكَ ﷺ؛ بَلْ قَلْبُهُ إِمَامُ الْقُلوبِ السَّلِيمَةِ الَّتِي سَلِمَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالَّتِي لَيْسَ فِيهَا إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِمَحَبَّتِهِ، وَبِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَبِمَعْرِفَتِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ.

النَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُنَا كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.. أَخْرَجَ بَعْضَهُ، وَالْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ: مَنْ مِنْكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْفِتَنِ؟».

فَقَالُوا: «كُلُّنَا سَمِعْنَاهُ ﷺ».

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّكُمْ تَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْفِتَنِ؛ فِتْنَةِ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَأَمَّا أَنَا فَأُرِيدُ الْفِتْنَةَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ».

فَقَالَ حُذَيْفَةُ: «أَنَا سَمِعْتُهُ».

قَالَ: «أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ».

وَهِيَ إِضَافَةٌ لِلتَّكْرِيمِ وَلِلتَّشْرِيفِ، كَمَا تَقُولُ: بَيْتُ اللهِ، وَكَمَا تَقُولُ: نَاقَةُ اللهِ.

قَالَ: «أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ».

فقَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا**».

النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي بِهَذَا التَّمْثِيلِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ عِنْدَ صُنْعِ الْحُصْرِ يَأْتُونَ بِطَاقَاتٍ مِنَ الْأَعْوَادِ، ثُمَّ يَجْعَلُ صَانِعُ الْحُصْرِ عُودًا إِلَىٰ عُودٍ، وَعُودًا إِلَىٰ عُودٍ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا** -أَيْ: أُشْرِبَ الْفِتَنَ عِنْدَمَا تُعْرَضُ عَلَيْهِ- **نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، حَتَّىٰ يَعُودَ هَذَا الْقَلْبُ أَسْوَدَ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، وَأَيُّ قَلْبٍ رَدَّهَا** -رَفَضَهَا، تَأَبَّىٰ عَلَيْهَا، اسْتَعْلَىٰ عَلَيْهَا بِطَاعَتِهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، جَعَلَهَا تَحْتَ مَوَاطِئِ الْأَقْدَامِ فِي الرَّدْغَةِ، فِي الْوَحْلِ، فِي الرَّغَامِ[1] حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ -**وَأَيُّ قَلْبٍ رَدَّهَا** -أَيْ: رَدَّ الْفِتَنَ، وَأَعْرَضَ عَنْهَا- **نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّىٰ يَصِيرَ هَذَا الْقَلْبُ** -الَّذِي يَرْفُضُ الْفِتَنَ وَيَرُدُّهَا، يَصِيرُ هَذَا الْقَلْبُ- **أَبْيَضَ كَالصَّفَا، لَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**».

يَقُولُ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه **لِعُمَرَ** رضي الله عنه: «وَإِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَذِهِ الْفِتَنِ -بَيْنَ الْفِتَنِ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ وَبَيْنَكَ يَا عُمَرُ- إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا لَبَابًا إِذَا كُسِرَ لَنْ يُغْلَقَ مِنْ بَعْدِهَا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ».

قَالَ: «وَيْحَكَ! لَا أَبَا لَكَ! يُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ؟».

قَالَ: «بَلْ يُكْسَرُ».

قَالُوا: «أَكَانَ عُمَرُ يَعْرِفُ الرَّجُلَ -يَعْنِي: الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفِتَنِ- الْبَابَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفِتَنِ؟».

قَالَ: «نَعَمْ، كَانَ يَعْرِفُهُ كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ بَعْدَ اللَّيْلَةِ غَدًا»، يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةَ يَقِينٍ.

---

(١) **الرَّغَامُ**: التُّرَابُ.

الْبَابُ هُوَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَسْرُهُ قَتْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قُتِلَ شَهِيدًا عِنْدَ الْمِحْرَابِ فِي مَسْجِدِ سَيِّدِ الْأَحْبَابِ ﷺ فُتِحَ الْبَابُ كَسْرًا، فَلَا يُؤَمَّلُ أَنْ يُرَدَّ بَعْدُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُفْتَحْ، وَإِنَّمَا كُسِرَ كَسْرًا.

قَالَ: «أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ؟».

فَقَالَ: «نَعَمْ، حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ»(١).

هَذَا هُوَ سِيَاقُ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَفِيهِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْفِتَنَ تُعْرَضُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ -عِبَادَ اللهِ- شَيْئًا مِنْ بَعْدِ شَيْءٍ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ [البقرة: ٢٠٨]؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي بِشَيْءٍ مِنْ بَعْدِ شَيْءٍ، وَلَا يَأْتِي إِلَيْكَ مُبَاشَرَةً، يُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَكَ عَلَىٰ ضَلَالٍ سَوَاءٍ لَا يَسْتَقِيمُ، وَإِنَّمَا يَأْتِي إِلَيْكَ بِفِتْنَةٍ، فَإِنْ رَدَدْتَهَا أَتَىٰ مِنْ بَابٍ آخَرَ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا**» يَعْنِي: خَالَطَتْهُ وَمَازَجَتْهُ، وَأَصْبَحَ مِنْهَا كَالشَّرَابِ فِي الْإِنَاءِ، كَمَا قَالَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي حَقِّ عُبَّادِ الْعِجْلِ أَنَّهُمْ أُشْرِبُوا مَحَبَّةَ الْعِجْلِ؛ هَؤُلَاءِ خَالَطَتْ قُلُوبَهُمْ مَحَبَّةُ الْعِجْلِ الَّذِي يَأْلَهُونَهُ وَيَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الفِتَنِ: بَابُ الفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، (٧٠٩٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامِ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا..، (١٤٤)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

«فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا -يَعْنِي: أُشْرِبَ الْفِتَنَ-؛ نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَمَا تَزَالُ تِلْكَ النُّكَتُ -أَيْ: تِلْكَ النُّقَطُ- **تَتَرَاكَمُ فِي الْقَلْبِ حَتَّىٰ يَصِيرَ مُرْبَادًّا** -فِيهِ شَيْءٌ مِنْ سَوَادٍ مُخَالِطٌ لِشَيْءٍ مِنْ بَيَاضٍ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَصِيرُ إِلَىٰ أَيِّهِمَا، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ هُوَ مَنْكُوسٌ بَعْدُ، يَقُولُ: «**كَالْكُوزِ مُجَخِّيًّا**»، فَلَا يُؤَدِّي وَظِيفَتَهُ؛ لِأَنَّ الْكُوزَ لَا يُؤَدِّي وَظِيفَتَهُ إِلَّا إِذَا كَانَ مُعْتَدِلًا، لَا يُؤَدِّي وَظِيفَتَهُ إِذَا كَانَ مَنْكُوسًا، وَكَذَلِكَ الْقَلْبُ الَّذِي أُشْرِبَ الْفِتَنَ.

وَعِنْدَئِذٍ تَأْتِيهِ آفَتَانِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعَامَلَ مَعَ أَيَّتِهِمَا، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»، فَإِنَّهُ تَنْعَكِسُ عِنْدَهُ الْآيَاتُ، وَيَجْعَلُ أَمْرَ نَبِيِّهِ ﷺ مَحْكُومًا بِأَمْرِ هَوَاهُ، «**لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**».

وَفِي الْمُقَابِلِ قَلْبٌ أَبْيَضُ مُزْهِرٌ بِنُورِ الْإِيمَانِ، وَجَلَالِ التَّوْحِيدِ، وَاتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، تُنْكَتُ فِيهِ النُّكْتَةُ الْبَيْضَاءُ؛ لِأَنَّهُ يَرُدُّ الْفِتَنَ؛ لِأَنَّهُ كَالصَّفَا، كَالصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ تَزِلُّ عَنْهَا قَطَرَاتُ الْمَاءِ.

وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ فَإِنَّهُ قَلْبٌ كَالْإِسْفِنْجَةِ، يَتَشَرَّبُ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ أَيِّ وَسَطٍ وُضِعَ فِيهِ، فَلَوْ وُضِعَ فِي وَسَطِ الْبَوْلِ لَتَشَرَّبَهُ، وَلَوْ وُضِعَ فِي وَسَطِ الْقَاذُورَاتِ لَتَشَرَّبَهَا، قَلْبٌ تُؤَثِّرُ فِيهِ الْآفَاتُ، وَتُحِيطُ بِهِ الْفِتَنُ مِنْ جَمِيعِ الْجَنَبَاتِ.

وَأَمَّا الْقَلْبُ الْآخَرُ كَالسِّرَاجِ الْمُزْهِرِ، تَزِلُّ عَنْهُ كُلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَأْتِيَهُ مِنْ قَطَرَاتٍ بِقَدَرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ذِي الرَّحَمَاتِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يُرِيدُ قُلُوبًا سَلِيمَةً، إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَضَعُ الْإِنْسَانَ فِي إِشْكَالِيَّةِ الْإِنْسَانِ، كَيْفَ تَصِيرُ وَأَنْتَ فِي وَسَطِ الْحَمْأَةِ طَاهِرًا؛ طَاهِرَ الذَّيْلِ، وَطَاهِرَ الْقَلْبِ، وَطَاهِرَ الضَّمِيرِ، وَعَفَّ الْجَنَانِ؟!

كَيْفَ تَصِيرُ وَأَنْتَ تَحُوطُكَ وَتَنُوشُكَ الْأَحْقَادُ.. كَيْفَ تَصِيرُ عَلَىٰ قَدَمِ نَبِيِّكَ ﷺ قَائِمًا وَسَائِرًا؟!

كَيْفَ تَسِيرُ وَالْمُجْتَمَعُ يُحِيطُكَ بِآفَاتِهِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَرِمَاحُكَ بِرِمَاحِ آفَاتِهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ؟!!

كَيْفَ تَصِيرُ فِي مَهَابِّ الرِّيَاحِ الْأَرْبَعِ مُتَمَسِّكًا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ؛ لِأَنَّكَ تَعْرِفُ طَرِيقَكَ، وَلِأَنَّكَ تَجْعَلُ الْقَدَمَيْنِ عَلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ؟!!

هَذِهِ الْإِشْكَالِيَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهَا الْإِنْسَانَ بِمَا حَمَّلَهُ مِنَ الْأَمَانَةِ أَمَانَةِ التَّكْلِيفِ بِـ(افْعَلْ) وَ(لَا تَفْعَلْ)؛ حَيْثُ رَفَضَتْهَا وَأَشْفَقَتْ مِنْهَا الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا.

هَذِهِ الْإِشْكَالِيَّةُ الْعَظِيمَةُ أَنْ تَحْتَفِظَ بِنَقَائِكَ وَبِطَهَارَتِكَ وَأَنْتَ فِي وَسَطِ الْحَمْأَةِ، أَنْ تُحَافِظَ عَلَىٰ نَظَافَةِ ثَوْبِكَ وَجَنَانِكَ وَبَدَنِكَ وَضَمِيرِكَ وَفُؤَادِكَ وَأَنْتَ فِي وَسَطِ بَوْلٍ وَعَذِرَةٍ وَقَاذُورَاتٍ مِمَّا يَنُوشُكَ مِنْ أَلْسِنَةِ النَّاسِ وَتَعَامُلَاتِ النَّاسِ، وَأَنْتَ تَأْخُذُ بِالْقَانُونِ الْأَكْبَرِ الَّذِي قَالَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِ رضي الله عنهم: «مَا عَاقَبْتَ مَنْ عَصَىٰ اللهَ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللهَ فِيهِ»[1].

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو الطَّاهِرِ المخَلِّصُ فِي «**الْمُخَلِّصِيَّاتِ**»: (٤/ ٨٣، رقم ٣٠٣٩)، وَالْخَطِيبُ فِي «**الْمُتَّفِقِ والْمُفْتَرِقِ**»: (١/ ٣٠٤، رقم ١٤١)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «**تَارِيخِ دِمَشْقَ**»: =

يَقُولُ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ ﷺ -كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ رضي الله عنه-: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» كَيْفَ؟!! فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْمُقَدَّرَاتِ أَتُحِبُّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ؟!!

دُونَهَا خَرْطُ الْقَتَادِ!!

بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَبْلُغُ الرَّجُلُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**». وَهَذَا السِّيَاقُ عِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ، وَهُوَ صَحِيحٌ إِنْ شَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

«**لَا يَبْلُغُ الرَّجُلُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»، حَتَّىٰ يُحِبَّ لِلنَّاسِ مُطْلَقِ النَّاسِ.. يُحِبُّ لَهُمْ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ.

أَمَّا الْكَافِرُ فَيُحِبُّ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ، وَأَنْ يُسْلِمَ زِمَامَهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّهُ كَذَلِكَ كَانَ الْأَمِينُ الْأَكْبَرُ ﷺ حَتَّىٰ عَاتَبَهُ رَبُّهُ جَلَّوَعَلَا مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ وَمِنْ سُوءِ

=

(٤٤/ ٣٦٠)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: «وَضَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لِلنَّاسِ ثَمَانِي عَشْرَةَ كَلِمَةً حِكَمًا كُلَّهَا،: وذكره...».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الإِيمَانِ: بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، (١٣)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ...، (٤٥).

مَا يَجِدُ مِنْ أَلَمِ الْحُزْنِ الْمُمِضِّ بِجَنْبِهِ حُزْنًا عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَسِيرُونَ بِأَقْدَامِهِمْ إِلَىٰ حَيْثُ هَاوِيَةُ النَّارِ، وَبِئْسَ الْقَرَارُ، اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ [الكهف: ٦].

لَعَلَّكَ قَاتِلٌ نَفْسَكَ حُزْنًا وَغَمًّا عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ الْإِيمَانَ، وَيَرْفُضُونَ الْإِسْلَامَ، وَيُرِيدُونَ الْكُفْرَانَ، وَيَرُدُّونَ أَمْرَ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، وَيَرُدُّونَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ ﷺ، وَيَجْعَلُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي فَمِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾ [الصف: ٨].. ﴿ **وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ** ﴾ [الصف: ٩].

«**حَتَّىٰ يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»، تُحِبُّ لِلْكَافِرِ الْإِسْلَامَ، تُحِبُّ لِلْعَالَمِ أَنْ يُطْبِقَ عَلَىٰ قَوْلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، تَأْخُذُهُمْ فِي الْأَغْلَالِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ دَارَ السَّلَامِ، كَذَلِكَ شَأْنُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

أَتَرَىٰ هَاهُنَا ظِلًّا لِغِلٍّ؟!!

أَتَرَىٰ هَاهُنَا بَقِيَّةً مِنْ حَسَدٍ؟!!

أَتَرَىٰ هَاهُنَا أَثَارَةً مِنْ حِقْدٍ؟!!

كَلَّا وَاللهِ، وَإِنَّمَا هُوَ قَلْبٌ خَالِصٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ الَّذِي يَنْطَوِي عَلَىٰ أَيِّ شَائِبَةٍ مِنْ حَسَدٍ، أَوْ أَيِّ شَائِبَةٍ مِنْ حِقْدٍ، أَوْ أَيِّ أَثَارَةٍ مِنْ غِلٍّ، أَوْ أَيِّ أَثَارَةٍ مِنْ دَغَلٍ؛ كُلُّ ذَلِكَ لَا يَسْتَقِيمُ مَعَ الْقَلْبِ السَّلِيمِ الَّذِي لَا يُنْقِذُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّارِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَنْجُو مِنَ الْعَذَابِ إِلَّا هُوَ بِرَحْمَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْمَرْءَ لَيَتَأَمَّلُ مَلِيًّا، وَيَقِفُ مَاكِثًا مُكْثًا طَوِيلًا؛ بَلْ يَثْوِي[١] ثَوَاءً مُسْتَمِرًّا عِنْدَ هَذَا الْمَعْنَىٰ وَحْدَهُ، يَتَأَمَّلُ فِيهِ؛ كَيْفَ يَكُونُ الْقَلْبُ سَلِيمًا مِمَّا سِوَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ سَالِمًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟!!

كَيْفَ؟!! كَيْفَ بِاللهِ عَلَيْكَ؟!!

أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْتِيَ بِالْوَصْفَةِ الَّتِي يُمْكِنُ لِلْمَرْءِ بِهَا أَنْ يَكُونَ سَلِيمَ الْقَلْبِ؛ حَتَّىٰ يُنْقَذَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ بِالنِّيرَانِ، وَحَتَّىٰ يَحْيَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَأْتِي بِمَا يُحِبُّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَيَرْضَاهُ؟!!

كَيْفَ وَالْقُلُوبُ مُنْطَوِيَةٌ عَلَىٰ مَا هِيَ مُنْطَوِيَةٌ عَلَيْهِ مِنَ الْغِلِّ، وَمِنَ الْحِقْدِ، وَمِنَ الدَّغَلِ، وَمِنَ الْحَسَدِ، وَمِنَ النُّفْرَةِ، مُنْطَوِيَةٌ عَلَىٰ الْأَثَرَةِ وَحُبِّ الْأَنَا، وَرِفْعَةِ مَحَبَّةِ الذَّاتِ فِي سَوَائِهَا، لَا تَكَادُ تَسْتَقِيمُ وَلَا تَذُوقُ لَذَّةَ الْيَقِينِ، وَلَا تَكَادُ تَسْتَشْعِرُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ.

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**»[٢].

---

(١) يَثْوِي: يُقِيمُ وَيَسْتَقِرُّ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الأَدَبِ: بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، (٦٠١١)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ، (٢٥٨٦)، وَاللَّفْظُ لَهُ، مِنْ حَدِيثِ: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

أَتُحِسُّهَا؟!! أَتَجِدُ لَهَا فِي نَفْسِكَ ظِلًّا؟!! بَلْ أَتَجِدُ لَهَا فِي عَقْلِكَ مَعْنًىٰ أَنَّكَ عُضْوٌ فِي جَسَدٍ، أَنَّكَ بَعْضٌ مِنْ جُثْمَانٍ قَائِمٍ حَيٍّ يُحِسُّ وَيَشْعُرُ، وَيُحِبُّ وَيَكْرَهُ، وَيُسَرُّ وَيَحْزَنُ، وَيَرُوحُ وَيَجِيءُ؛ كَأَنَّمَا هُوَ قَدْ مَلَأَ الْعَالَمَ، كُلَّهُ كَأَنَّمَا هُوَ قَدْ مَلَأَ الْوُجُودَ بِأَجْمَعِهِ؟!!

أَتُحِسُّ أَنَّكَ بَعْضٌ مِنْ أَخِيكَ، وَأَنَّهُ بَعْضٌ مِنْكَ؟!!

كَذَلِكَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

الصَّحَابِيُّ يَلْقَىٰ أَخَاهُ بَاكِيًا، فَيَبْكِي لِمَرْآهُ بَاكِيًا، ثُمَّ إِذَا مَا قَضَىٰ مَعَهُ نَهْمَتَهُ مِنَ الْبُكَاءِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟!!

يَقُولُ لَهُ: وَأَنْتَ مَا الَّذِي يُبْكِيكَ؟!!

يَكْفِي أَنِّي رَأَيْتُكَ بَاكِيًا، يَكْفِي أَنِّي أُحِسُّ أَلَمَ الْحُزْنِ فِي صَدْرِكَ، فَيَنْبَعِثُ بِنَبْضَاتِهِ كَأَنَّمَا نُقِلَ قَلْبُكَ فِي صَدْرِي، أُحِسُّ إِحْسَاسَكَ، وَأَجِدُ شُعُورَكَ، وَأَتَجَاوَبُ مَعَكَ؛ لِأَنَّهَا لُغَةُ الْأَرْوَاحِ وَلُغَةُ الْقُلُوبِ، وَلَيْسَتْ بِلُغَةِ الْأَجْسَادِ، وَلُغَةِ الْحِجَارَةِ، وَلُغَةِ الْحَدِيدِ، وَإِنَّمَا هِيَ لُغَةٌ شَفَّافَةٌ شَفِيفَةٌ، إِنَّمَا هِيَ لُغَةٌ نَابِضَةٌ رَهِيفَةٌ، لُغَةُ قَلْبٍ يَسْتَشْعِرُ قَلْبًا.

وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ بِإِسْنَادٍ رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَكَذَا أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه **قَالَ**: «شَتَمَ رَجُلٌ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فَقَالَ: إِنْ شَتَمْتَنِي إِنَّ فِيَّ لَثَلَاثَ خِصَالٍ.

مَا هِيَ؟

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنِّي لَأَمُرُّ عَلَىٰ الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَوَدِدْتُ وَلَأَحْبَبْتُ وَلَتَمَنَّيْتُ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ يَعْلَمُ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ».

وَعِلْمُهُ فِيهَا لَا يُبَارَىٰ رضي الله عنه؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لَهُ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**».

إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ يَمُرُّ عَلَىٰ الْآيَةِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَيَرْجُو وَيُحِبُّ لَوْ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ يَعْلَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَعْلَمُ هُوَ.

وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «**وَأَمَّا الْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ**؛ فَإِنِّي أَسْمَعُ عَنِ الْقَاضِي مِنْ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ الْأَرْضِ.. أَسْمَعُ أَنَّهُ يَعْدِلُ فِي حُكْمِهِ، فَأَفْرَحُ لِذَلِكَ وَأُسَرُّ بِهِ، وَلَعَلِّي لَا أُقَاضَىٰ لَهُ أَبَدًا، وَلَا أَمْثُلُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُقَاضِيًا لِأَحَدٍ وَلَا مُقَاضًىٰ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا.

يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، وَيَسِيرُ عَلَىٰ السَّوِيَّةِ، وَيُعْطِي وَيَتَرَفَّعُ عَنِ الدَّنِيَّةِ فَأَفْرَحُ، وَلَعَلِّي لَا يَنَالُنِي مَعْرُوفُهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ؛ وَلَكِنَّهُ يُصِيبُ بِعَدْلِهِ وَيُصِيبُ بِبُعْدِهِ عَنِ الْجَوْرِ طَائِفَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُمْ بَعْضِي وَأَنَا بَعْضُهُمْ، هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّنَا جَسَدٌ وَاحِدٌ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ؛ فَأَسْمَعُ بِالْغَيْثِ يَنْزِلُ عَلَىٰ الْبَلَدِ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَتْ لِي فِيهِ مِنْ سَائِمَةٍ»[1]، وَلَيْسَتْ لِي بِهِ مِنْ رَاعِيَةٍ، لَيْسَتْ لِي بِهِ مِنْ أَغْنَامٍ وَلَا إِبِلٍ،

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «**الْكَبِيرِ**»: (١٠/ ٢٦٦، رقم ١٠٦٢١)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «**الْحِلْيَةِ**»: (١/ ٣٢١)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «**الشُّعَبِ**»: (١٣/ ٤٦٦، رقم ١٠٦٢٤).

وَلَيْسَ لِي بِهِ مِنْ حَاجَةٍ وَلَا مَصْلَحَةٍ؛ وَلَكِنَّنِي أَفْرَحُ لِأَنَّ مَطَرًا أَصَابَ بَلَدًا تُخْرِجُ نَبْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَتِهِ لِأُنَاسٍ يُوَحِّدُونَ وَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

الْآنَ تُحِسُّ مِثْلَ هَذَا الْإِحْسَاسِ، وَتَجِدُ مِثْلَ هَذَا الشُّعُورِ؟!!

شَتَّانَ شَتَّانَ، إِنَّمَا هِيَ جُزُرٌ مُعَلَّقَةٌ هُنَالِكَ فِي عُرْضِ الْمُحِيطِ تَتَلَاطَمُ بِهَا الْأَمْوَاجُ، وَتَصْفَعُهَا وَجْهًا لِقَفًا، وَهِيَ مُنْعَزِلَةٌ تَنُوحُ عَلَيْهَا الرِّيَاحُ الْأَرْبَعُ الصَّرْصَرُ، وَتَتَنَاوَشُهَا أَمْوَاجُ الْبَحْرِ بِزَبَدِهَا، هِيَ لَا تَبِينُ وَلَا تُفْصِحُ عَمَّا تُرِيدُ، وَلَا يُحِسُّ بِهَا أَحَدٌ، وَلَا تُحِسُّ بِأَحَدٍ، وَمَا كَذَلِكَ يَكُونُ الشَّأْنُ بَيْنَ الْإِخْوَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكُلُّهُمْ إِخْوَةٌ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، كَمَا قَالَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ -عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ-: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧- ٨٩].

وَهِيَ لَفْظَةٌ مُوحِيَةٌ بِذَاتِهَا، مُعَبِّرَةٌ بِجَرْسِهَا وَأَدَائِهَا، لَوْ أَرَادَ إِنْسَانٌ أَنْ يَشْرَحَهَا أَفْسَدَ فِي الْأَسْمَاعِ مَذَاقَهَا وَفِي الْقُلُوبِ حَلَاوَتَهَا، ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ سَالِمٍ مِنْ كُلِّ مَنْ سِوَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُنْطَوٍ عَلَىٰ إِكْبَارِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِعْزَازِ أَمْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَحَبَّةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ.

سَلِيمٌ يَعْنِي: هُوَ ضِدُّ الْعَلِيلِ، ضِدُّ السَّقِيمِ، ضِدُّ الْمَرِيضِ، قَلْبٌ هُوَ غَيْرُ مَرِيضٍ.

فَاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا قُلُوبًا بَرِيئَةً مِنَ الْمَرَضِ شَهْوَةً وَشُبْهَةً يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَلَقَدْ مَضَىٰ عَلَيَّ حِقْبَةٌ مِنَ الدَّهْرِ وَحِينٌ مِنْهُ مُتَطَاوِلٌ لَا يَرِيمُ؛ كَأَنَّهُ لَيْلَةٌ نَابِغِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا مِنْ صُبْحٍ يَسْتَبِينُ ضِيَاؤُهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ: أَتَسْمَعُ بِالرَّجُلِ تَعْرِفُهُ وَتَعْلَمُهُ وَتُحَقِّقُهُ، بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ الْمَوَدَّةُ وَالنَّسَبُ، وَالْقَرَابَةُ الْقَرِيبَةُ وَالصِّلَةُ الْوَثِيقَةُ، وَالنَّسَبُ الْمَتِينُ، تَسْمَعُ عَنِ الرَّجُلِ تُصِيبُهُ النِّعْمَةُ، ثُمَّ لَا تَجِدُ فِي قَلْبِكَ لَذْعًا كَلَذْعِ الْجَمْرِ وَلَوْ كَانَ خَفِيفًا؟!!

حَاشَا وَكَلَّا، تَجِدُهُ وَتَجِدُهُ، وَمَنْ قَالَ أَنَّهُ لَا يَجِدُهُ فَمَا مَكَانُهُ هَاهُنَا، وَإِنَّمَا مَكَانُهُ هُنَاكَ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ، وَنِعْمَ الْقَرَارُ.

وَأَمَّا هَاهُنَا فِي دُنْيَا النَّاسِ وَفِي هَذَا الْوَقْتِ مِمَّا يُعَاصِرُهُ الْخَلْقُ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ؛ فَتَجِدُ لَهُ أَخَفَّ وَطْءٍ كَلَذْعِ الْجَمْرِ، فَلَذْعُ الْجَمْرِ هُوَ أَخَفُّ وَطْءٍ مِمَّا يَجِدُهُ الرَّجُلُ عِنْدَمَا يَعْلَمُ أَنَّ النِّعْمَةَ أَصَابَتْ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ -وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ-.

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «**لَا يُخْبِرُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابٌ فِي رَفْعِ الْحَدِيثِ مِنَ الْمَجْلِسِ، (٤٨٦٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ: بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، (٣٨٩٦)، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

تَأْتُونَ مَا تَأْتُونَ، وَتَفْعَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ، وَيُخَالِفُ الْمُخَالِفُونَ، وَيُعَانِدُ الْمُعَانِدُونَ، وَيُشَاقُّ الْمُشَاقُّونَ، وَيُحَادُّ الْمُحَادُّونَ؛ وَلَكِنْ لَا أُرِيدُ أَنْ أَعْلَمَ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَأَخْرُجَ إِلَيْكُمْ مُتَعَادِلًا عِنْدِي جَمِيعُهُمْ سَوَاءٌ، هُمْ جَمِيعًا عِنْدِي عَلَىٰ السَّوَاءِ، أَخْرُجُ إِلَيْكُمْ سَلِيمَ الصَّدْرِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَيْنَ سَلَامَةُ الصَّدْرِ؟».

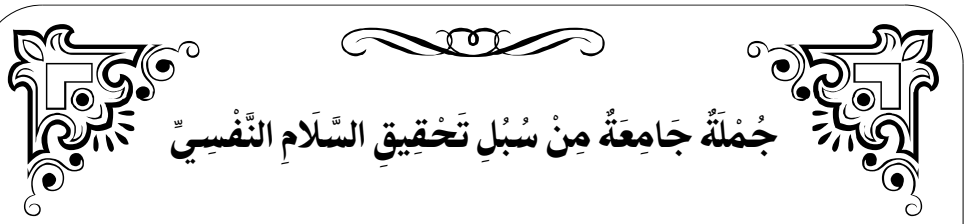

جُمْلَةٌ جَامِعَةٌ مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ

حَرِيٌّ بِالْعَبْدِ الْمُنِيبِ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ: مَتَىٰ يَجِدُ قَلْبِي مُسْتَقَرَّهُ؟!!

وَمَتَىٰ يَخْلُصُ مِنْ ضِيقِهِ، وَيَنْعَمُ بِشَرْحِهِ؟!!

وَمَتَىٰ يَأْتِي الِاطْمِئْنَانُ وَالِاسْتِقْرَارُ وَالْهُدُوءُ وَالنَّضَارُ؟!!

وَمَتَىٰ يَخْلُصُ الْعَبْدُ مِنَ الْحَزَنِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْكَرْبِ وَمَا يَسُوءُ؟!!

«**إِنَّ أَعْظَمَ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ: التَّوْحِيدُ،** وَعَلَىٰ حَسَبِ كَمَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَسِيَادَتِهِ يَكُونُ انْشِرَاحُ صَدْرِ صَاحِبِهِ.

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فَالْهُدَىٰ وَالتَّوْحِيدُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ.

وَالشِّرْكُ وَالضَّلَالُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضِيقِ الصَّدْرِ وَانْحِرَاجِهِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ: النُّورُ الَّذِي يَقْذِفُهُ اللهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، وَهُوَ نُورُ الْإِيمَانُ؛ فَإِنَّهُ يُشْرِحُ الصَّدْرَ وَيُوَسِّعُهُ، وَيُفْرِحُ الْقَلْبَ، فَإِذَا فُقِدَ هَذَا النُّورُ مِنْ قَلْبِ الْعَبْدِ؛ ضَاقَ وَأَصَابَهُ الْحَرَجُ، وَصَارَ فِي أَضْيَقِ سِجْنٍ وَأَصْعَبِهِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ: الْعِلْمُ؛ فَإِنَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيُوَسِّعُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا.

وَالْجَهْلُ يُورِثُ الصَّدْرَ الضِّيقَ وَالْحَصَرَ وَالْحَبْسَ، فَكُلَّمَا اتَّسَعَ عِلْمُ الْعَبْدِ انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَاتَّسَعَ، وَلَيْسَ هَذَا لِكُلِّ عِلْمٍ، بَلْ لِلْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، فَأَهْلُ الْعِلْمِ النَّافِعِ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَوْسَعُهُمْ قُلُوبًا، وَأَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا، وَأَطْيَبُهُمْ عَيْشًا، وَأَنْعَمُهُمْ مَعِيشَةً، وَأَقَرُّهُمْ عَيْنًا.

وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ: الْإِنَابَةُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، وَمَحَبَّتُهُ بِكُلِّ الْقَلْبِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَالتَّنَعُّمُ بِعِبَادَتِهِ، فَلَا شَيْءَ أَشْرَحُ لِصَدْرِ الْعَبْدِ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَقُولُ -أَحْيَانًا-: إِنْ كُنْتُ فِي الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ فَإِنِّي -إِذَنْ- لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ.

وَلِلْمَحَبَّةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَطِيبِ النَّفْسِ، وَنَعِيمِ الْقَلْبِ، لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ أَحَسَّ بِهِ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ أَقْوَىٰ وَأَشَدَّ كَانَ الصَّدْرُ أَفْسَحَ وَأَشْرَحَ»[1].

---

(١) «زَادُ الْمَعَاد» (٢/ ٢٢ وَمَا بَعدَهَا).

أَيْنَ يَجِدُ الْمَرْءُ رَاحَةَ قَلْبِهِ؟!!

وَأَيْنَ يَجِدُ الْمَرْءُ صَلَاحَ بَالِهِ، وَانْشِرَاحَ صَدْرِهِ، وَرَاحَةَ بَدَنِهِ؟!!

كُلُّ ذَلِكَ فِي طَاعَةِ اللهِ، «وَتَحْتَ هَذَا سِرٌّ عَظِيمٌ مِنْ أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَسْتَقِرُّ وَلَا يَطْمَئِنُّ وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا بِالْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مِمَّا يُحَبُّ وَيُرَادُ فَمُرَادٌ لِغَيْرِهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْمَحْبُوبُ لِذَاتِهِ إِلَّا وَاحِدًا إِلَيْهِ الْمُنْتَهَىٰ.

وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الْمُنْتَهَىٰ إِلَىٰ اثْنَيْنِ، كَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءُ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ اثْنَيْنِ.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْمَحْبُوبُ لِذَاتِهِ إِلَّا وَاحِدًا إِلَيْهِ الْمُنْتَهَىٰ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الْمُنْتَهَىٰ إِلَىٰ اثْنَيْنِ كَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءُ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ اثْنَيْنِ.

فَمَنْ كَانَ انْتِهَاءُ مَحَبَّتِهِ هُوَ رَغْبَتُهُ هُوَ إِرَادَتُهُ وَطَاعَتُهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، بَطَلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَزَالَ عَنْهُ، وَفَارَقَهُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ.

وَمَنْ كَانَ انْتِهَاءُ مَحَبَّتِهِ وَرَغْبَتِهِ وَرَهْبَتِهِ وَطَلَبِهِ هُوَ سُبْحَانَهُ، ظَفِرَ بِنَعِيمِهِ وَلَذَّتِهِ وَبَهْجَتِهِ وَسَعَادَتِهِ أَبَدَ الْآبَادِ.

وَالْعَبْدُ دَائِمًا مُتَقَلِّبٌ بَيْنَ أَحْكَامِ الْأَوَامِرِ وَأَحْكَامِ النَّوَازِلِ.

وَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ يَقُولُ عِنْدَ الْأَمْرِ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَعِنْدَ الْخَبَرِ: سَمِعْنَا وَصَدَّقْنَا، فَهُوَ مُحْتَاجٌ بَلْ مُضْطَرٌّ إِلَىٰ الْعَوْنِ عِنْدَ الْأَوَامِرِ، وَإِلَىٰ اللُّطْفِ عِنْدَ النَّوَازِلِ، وَعَلَىٰ قَدْرِ قِيَامِهِ بِالْأَوَامِرِ يَحْصُلُ لَهُ مِنَ اللُّطْفِ عِنْدَ النَّوَازِلِ.

فَإِنْ كَمَّلَ الْقِيَامَ بِالْأَوَامِرِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا نَالَهُ اللُّطْفُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَإِنْ قَامَ بِصُوَرِهَا دُونَ حَقَائِقِهَا نَالَ اللُّطْفَ فِي الظَّاهِرِ، وَقَلَّ نَصِيبُهُ مِنَ اللُّطْفِ فِي الْبَاطِنِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا اللُّطْفُ الْبَاطِنُ؟

فَالْجَوَابُ: هُوَ مَا يَحْصُلُ لِلْقَلْبِ عِنْدَ النَّوَازِلِ مِنَ السَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَزَوَالِ الْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ وَالْجَزَعِ.

فَيَسْتَخْذِي بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ ذَلِيلًا لَهُ مُسْتَكِينًا، نَاظِرًا إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ، سَاكِنًا إِلَيْهِ بِرُوحِهِ وَسِرِّهِ، قَدْ شَغَلَهُ مُشَاهَدَةُ لُطْفِهِ بِهِ عَنْ شِدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَلَمِ، وَقَدْ غَيَّبَهُ عَنْ شُهُودِ ذَلِكَ مَعْرِفَتُهُ بِحُسْنِ اخْتِيَارِهِ لَهُ، وَأَنَّهُ عَبْدٌ مَحْضٌ يُجْرِي عَلَيْهِ سَيِّدُهُ أَحْكَامَهُ رَضِيَ أَمْ سَخِطَ.

فَإِنْ رَضِيَ نَالَ الرِّضَا، وَإِنْ سَخِطَ فَحَظُّهُ السَّخَطُ.

فَهَذَا اللُّطْفُ الْبَاطِنُ ثَمَرَةُ تِلْكَ الْمُعَامَلَةِ الْبَاطِنَةِ يَزِيدُ بِزِيَادَتِهَا، وَيَنْقُصُ بِنُقْصَانِهَا»[(١)].

فَنَعِيمُ الدُّنْيَا فِي سُكُونِ الْقَلْبِ إِلَىٰ اللهِ، وَرِضَا الْفُؤَادِ عَنِ اللهِ، وَانْطِرَاحِ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ.[(*)].

---

(١) «الفَوَائِد» (ص: ٢٠٢ وَمَا بَعدَهَا).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «لَا تَحْزَنْ!» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣هـ| ١٦-١٢-٢٠١١م.

الْعَاقِلُ يَعْلَمُ أَنَّ حَيَاتَهُ الصَّحِيحَةَ حَيَاةُ السَّعَادَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَأَنَّهَا قَصِيرَةٌ جِدًّا، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَصِّرُهَا بِالْهَمِّ وَالِاسْتِرْسَالِ مَعَ الْأَكْدَارِ، فَإِنَّ ذَلِكَ ضِدُّ الْحَيَاةِ الصَّحِيحَةِ، فَيَشِحُّ بِحَيَاتِهِ أَنْ يَذْهَبُ كَثِيرٌ مِنْهَا نَهْبًا لِلْهُمُومِ وَالْأَكْدَارِ، وَلَا فَرْقَ فِي هَذَا بَيْنَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ لَهُ مِنَ التَّحَقُّقِ بِهَذَا الْوَصْفِ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ، وَالنَّصِيبُ النَّافِعُ الْعَاجِلُ وَالْآجِلُ.

وَيَنْبَغِي -أَيْضًا- إِذَا أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ أَوْ خَافَ مِنْهُ أَنْ يُقَارِنَ بَيْنَ بَقِيَّةِ النِّعَمِ الْحَاصِلَةِ لَهُ دِينِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ، وَبَيْنَ مَا أَصَابَهُ مِنْ مَكْرُوهٍ، فَعِنْدَ الْمُقَارَنَةِ يَتَّضِحُ كَثْرَةُ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، وَاضْمِحْلَالُ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْمَكَارِهِ.

وَكَذَلِكَ يُقَارِنُ بَيْنَ مَا يَخَافُهُ مِنْ حُدُوثِ ضَرَرٍ عَلَيْهِ، وَبَيْنَ الِاحْتِمَالَاتِ الْكَثِيرَةِ فِي السَّلَامَةِ مِنْهَا، فَلَا يَدَعُ الِاحْتِمَالَ الضَّعِيفَ يَغْلِبُ الِاحْتِمَالَاتِ الْكَثِيرَةَ الْقَوِيَّةَ، وَبِذَلِكَ يَزُولُ هَمُّهُ وَخَوْفُهُ، وَيُقَدِّرُ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ مِنَ الِاحْتِمَالَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُصِيبَهُ، فَيُوَطِّنُ نَفْسَهُ لِحُدُوثِهَا إِنْ حَدَثَتْ، وَيَسْعَىٰ فِي دَفْعِ مَا لَمْ يَقَعْ مِنْهَا وَفِي رَفْعِ مَا وَقَعَ أَوْ تَخْفِيفِهِ.

وَمِنَ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ: أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ أَذِيَّةَ النَّاسِ لَكَ وَخُصُوصًا فِي الْأَقْوَالِ السَّيِّئَةِ لَا تَضُرُّكَ، بَلْ تَضُرُّهُمْ، إِلَّا إِنْ أَشْغَلْتَ نَفْسَكَ فِي الِاهْتِمَامِ بِهَا، وَسَوَّغْتَ لَهَا أَنْ تَمْلِكَ مَشَاعِرَكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَضُرُّكَ كَمَا ضَرَّتْهُمْ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَضَعْ لَهَا بَالًا لَمْ تَضُرَّكَ شَيْئًا.

وَاعْلَمْ أَنَّ حَيَاتَكَ تَبَعٌ لِأَفْكَارِكَ، فَإِنْ كَانَتْ أَفْكَارًا فِيمَا يَعُودُ عَلَيْكَ نَفْعُهُ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا فَحَيَاتُكَ طَيِّبَةٌ سَعِيدَةٌ، وَإِلَّا فَالْأَمْرُ بِالْعَكْسِ.

وَمِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِطَرْدِ الْهَمِّ: أَنْ تُوَطِّنَ نَفْسَكَ عَلَىٰ أَلَّا تَطْلُبَ الشُّكْرَ إِلَّا مِنَ اللهِ، فَإِذَا أَحْسَنْتَ إِلَىٰ مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْكَ أَوْ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَقٌّ فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا مُعَامَلَةٌ مِنْكَ مَعَ اللهِ، فَلَا تُبَالِ بِشُكْرِ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ- فِي حَقِّ خَوَاصِّ خَلْقِهِ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

وَيَتَأَكَّدُ هَذَا فِي مُعَامَلَةِ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَمَنْ قَوِيَ اتِّصَالُكَ بِهِمْ، فَمَتَىٰ وَطَّنْتَ نَفْسَكَ عَلَىٰ إِلْقَاءِ الشَّرِّ عَنْهُمْ فَقَدْ أَرَحْتَ وَاسْتَرَحْتَ، وَمِنْ دَوَاعِي الرَّاحَةِ أَخْذُ الْفَضَائِلِ وَالْعَمَلُ عَلَيْهَا بِحَسَبِ الدَّاعِي النَّفْسِي دُونَ التَّكَلُّفِ الَّذِي يُقْلِقُكَ، وَتَعُودُ عَلَىٰ أَدْرَاجِكَ خَائِبًا مِنْ حُصُولِ الْفَضِيلَةِ، حَيْثُ سَلَكْتَ الطَّرِيقَ الْمُلْتَوِيَ، وَهَذَا مِنَ الْحِكْمَةِ، وَأَنْ تَتَّخِذَ مِنَ الْأُمُورِ الْكَدِرَةِ أُمُورًا صَافِيَةً حُلْوَةً، وَبِذَلِكَ يَزِيدُ صَفَاءُ اللَّذَّاتِ، وَتَزُولُ الْأَكْدَارُ.

اجْعَلِ الْأُمُورَ النَّافِعَةَ نُصْبَ عَيْنَيْكَ وَاعْمَلْ عَلَىٰ تَحْقِيقِهَا، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَىٰ الْأُمُورِ الضَّارَّةِ لِتَلْهُوَ بِذَلِكَ عَنِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلَّهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَاسْتَعِنْ بِالرَّاحَةِ وَإِجْمَاعِ النَّفْسِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الْمُهِمَّةِ.

وَمِنَ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ: حَسْمُ الْأَعْمَالِ فِي الْحَالِ وَالتَّفَرُّغِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ إِذَا لَمْ تُحْسَمِ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ بَقِيَّةُ الْأَعْمَالِ السَّابِقَةِ، وَانْضَافَتْ إِلَيْهَا الْأَعْمَالُ اللَّاحِقَةُ، فَتَشْتَدُّ وَطْأَتُهَا، فَإِذَا حَسَمْتَ كُلَّ شَيْءٍ بِوَقْتِهِ أَتَيْتَ الْأُمُورَ الْمُسْتَقْبَلَةَ بِقُوَّةِ تَفْكِيرٍ وَقُوَّةِ عَمَلٍ.

وَيَنْبَغِي أَنْ تَتَخَيَّرَ مِنَ الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ الْأَهَمَّ فَالْأَهَمّ، وَمَيِّزْ بَيْنَ مَا تَمِيلُ نَفْسُكَ إِلَيْهِ وَتَشْتَدُّ رَغْبَتُكَ فِيهِ، فَإِنَّ ضِدَّهُ يُحْدِثُ السَّآمَةَ وَالْمَلَلَ وَالْكَدَرَ، وَاسْتَعِنْ عَلَىٰ ذَلِكَ بِالْفِكْرِ الصَّحِيحِ وَالْمُشَاوَرَةِ، فَمَا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ، وَادْرُسْ مَا تُرِيدُ فِعْلَهُ دَرْسًا دَقِيقًا، فَإِذَا تَحَقَّقَتِ الْمَصْلَحَةُ وَعَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ.(*).

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَقِنَا وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ مَا قَضَيْتَ.

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا، وَبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَاهْدِ قُلُوبَنَا.

اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صُدُورِنَا.

اللَّهُمَّ عَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَقِنَا وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ مَا قَضَيْتَ، وَعَامِلْنَا بِالْإِحْسَانِ؛ إِذِ الْإِحْسَانُ مِنْكَ وَإِلَيْكَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ١٣-١١-٢٠١٣م.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ، وَنَسْأَلُكَ كَمَالَ الْعَافِيَةِ، وَنَسْأَلُكَ دَوَامَ الْعَافِيَةِ، وَنَسْأَلُكَ تَمَامَ الْعَافِيَةِ، وَنَسْأَلُكَ دَوَامَ الْغِنَىٰ عَنِ النَّاسِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، نَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، نَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَيْنَ سَلَامَةُ الصَّدْرِ؟».

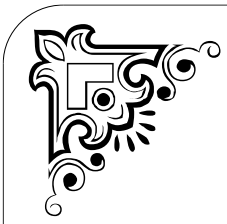

الْفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

نِعْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ٤

الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ أَفْضَلُ الْبَشَرِ ٨

وَظِيفَةُ الرُّسُلِ وَغَايَةُ إِرْسَالِهِمْ ١٢

عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ ١٥

مِنْ خَصَائِصِ الرُّسُلِ عليهم السلام ١٩

جُمْلَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الْعَظِيمَةِ ٣٣

تَفَاضُلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ٤٨

الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ٥٧

الْأَنْبِيَاءُ سَبَبُ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ فِي الْأَرْضِ ٧٨

الْإِسْلَامُ دِينُ السَّلَامِ ٨٠

* السَّلَامُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ ٨٠

* دِينُنَا دِينُ السَّلَامِ ٨٥

السَّلَامُ مَعَ النَّفْسِ وَالْكَوْنِ كُلِّهِ ٨٩
سُبُلُ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ ٩٥
أَعْظَمُ السُّبُلِ إِلَىٰ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ ٩٧
مِنْ سُبُلِ الْوُصُولِ إِلَىٰ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ١٠٣
مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: الصَّلَاةُ ١١١
مِنْ وَسَائِلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: ذِكْرُ اللهِ ١١٣
مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: مَعْرِفَةُ الْغَايَةِ مِنَ الْخَلْقِ وَتَوْحِيدُ الْقَصْدِ .. ١١٥
مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ ١٢٠
مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ ١٢٣
مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: الرِّضَا بِرِزْقِ اللهِ ١٢٦
مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: عَدَمُ الْخَوْفِ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ ١٣٢
مِنْ وَسَائِلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الدُّعَاءُ وَالِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ١٣٤
مِنْ سُبُلِ الْوُصُولِ إِلَىٰ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الصَّدَقَاتُ ١٣٨
مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ السَّلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ ١٤٠
مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ الْآخَرِينَ: سَلَامَةُ الْقَلْبِ لِلْمُسْلِمِينَ ١٤٢
جُمْلَةٌ جَامِعَةٌ مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ ١٦٢